التوحيد

إيجابيات وسلبيات الشبكة العنكبوتية

نور المحجة في استقبال ذي الحجة

من مقاصد الأضحية في الشرع

معالم التوحيد في الحج

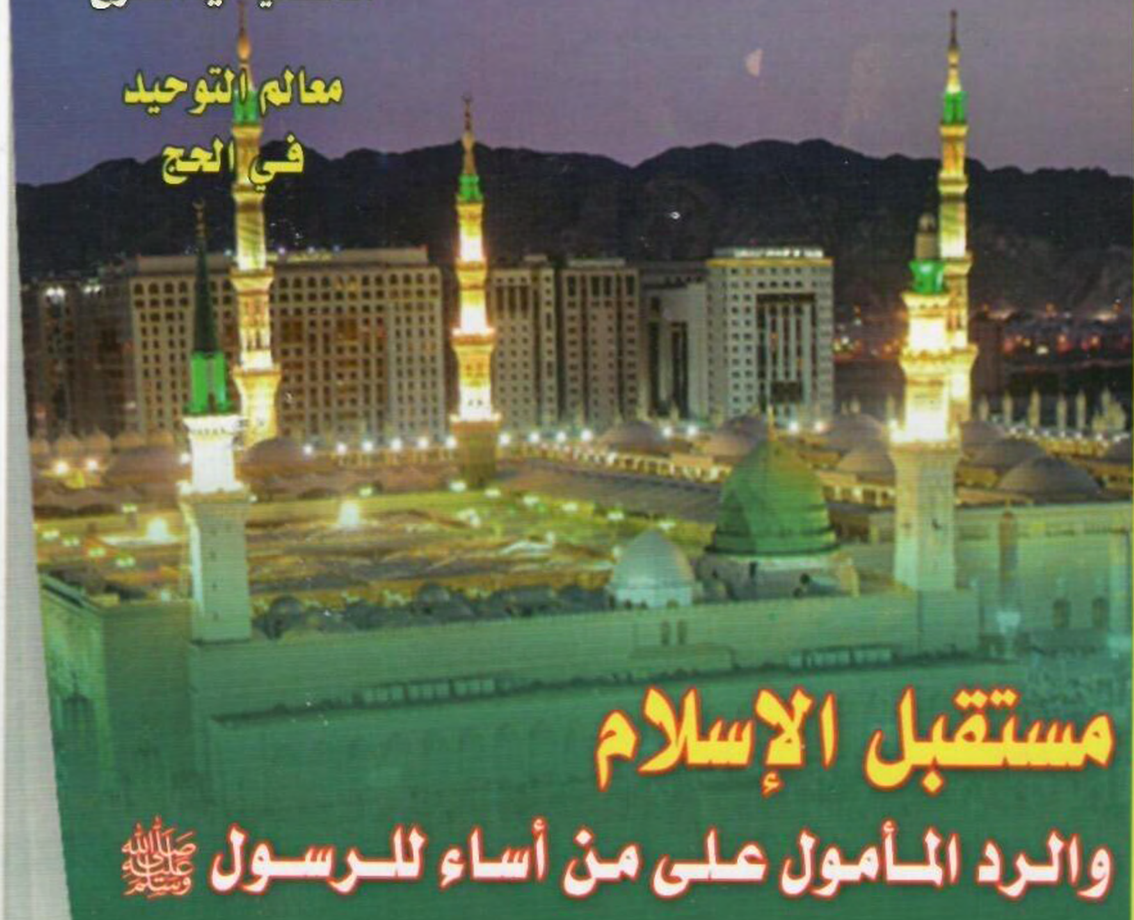

مستقبل الإسلام

والرد المأمول على من أساء للرسول ﷺ

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦١٢ السنة الواحدة والخمسون - ذو الحجة ١٤٤٣ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد

د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مطابع التجارية ACP

السلام عليكم

فرحة ومغفرة وعتق من النار

شرع الله تعالى لهذه الأمة الفرح والسرور بتمام نعمته، وكمال رحمته.

فيوم النحر يوم حجهم الأكبر يأتي بعد الوقوف بعرفة؛ أكثر الأيام التي يعتق الله فيها عبادًا من النار، وكذلك صيام يوم عرفة وذبح الأضاحي لغير الحاج، وهما من أسباب المغفرة والعتق من النار، ولأنه لا يحصل العتق من النار والمغفرة للذنوب والأوزار في يوم من أيام السنة أكثر منه من يوم عرفة، فقد جعل الله تعالى ذلك اليوم عيدًا، فضلاً عن يوم عيد الأضحى الذي هو خير أيام السنة.

وكذلك فإن عيد الفطر يأتي بعد تمام ركن عظيم من أركان الإسلام؛ وهو صيام المسلمين شهر رمضان الذي افترضه الله تعالى عليهم كل عام، فإذا أتموا صيامهم أعتقهم الله من النار، فجعل لهم فرحة أخرى كانت لهم عيدًا بعد إكمال صيامهم، فيفرحون فيه بالمغفرة بعد صدقة فطرهم وخروجهم إلى صلاتهم، وتكون صدقة الفطر وصلاة العيد أيضًا شكرًا لله تعالى على مغفرته لهم.

فيا سعادة من شهد الفرحتين وجمع بينهما!، وهنيئًا لأمة الإسلام بعيد الأضحى المبارك، أعاده الله علينا بالسعادة والنصر والرخاء، وتقبل الله منا ومنكم جميعًا.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

فضائل يوم عرفة د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب السنة د. مرزوق محمد مرزوق ٨
فقه المرأة المسلمة د. عزة محمد رشاد ١٢
أعمال الحج عبَر للخلق الشيخ صلاح عبد الخالق ١٥
فضل العشر من ذي الحجة : الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
غزوة بدر د. سيد عبد العال ٢١
الغاية العلية من بعثة خير البرية:
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٤
صفة الحج د. حمدي طه ٢٨
مستقبل الإسلام والرد المأمول على من أساء للرسول:
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
من المقاصد العظيمة في فريضة الحج:
الشيخ معاوية محمد هيكل ٣٨
دراسات شرعية د. متولي البراجيلي ٤٢
أحكام تخص الحكم بما أنزل الله:
د. محمد عاطف التاجوري ٤٥
من مقاصد الأضحية في الشريعة:
د. محمد عبد العزيز ٤٧
باب الأسرة المسلمة د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية :
الشيخ علي حشيش ٥٣
نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة :
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
توقير الله وتعظيمه د. فيصل بن جميل غزاوي ٦١
مقالات في معاني القراءات د. أسامة صابر ٦٤
معالم التوحيد في الحج : د. جمال المراكبي ٦٦
إيجابيات وسلبيات الشبكة العنكبوتية:
د. عبد القادر فاروق محمد ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

فضائل يوم عرفة

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وإمامنا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإننا نعيش هذه الأيام أجواء الحج إلى بيت الله الحرام الذي هو ركن من أركان الإسلام- قال الله تبارك وتعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ» (آل عمران: ٩٧)، والحج فضله عظيم وثوابه عند الله عز وجل جزيل، وقد جاء في السنة النبوية ما يدل على ذلك: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». (مسلم: ١٣٤٩).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه». (مسلم: ١٣٥٠).

وقد شاء الله تبارك وتعالى أن تقع هذه العبادة العظيمة في أفضل الأيام على الإطلاق، وهي العشر الأول من شهر ذي الحجة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام-يعني: أيام العشر-، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء». (البخاري (٩٦٩).

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد دل هذا الحديث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها، وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده". (لطائف المعارف ٣٦٥).

كما شاء الله تبارك وتعالى أن يقع يوم عرفة بين هذه الأيام العشر، وهو أعظم أركان الحج، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة». (أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وغيرهم، وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (١٠٦٤).

وهذا يدل على عظيم فضله ومكانته وسأذكر هنا بإذن الله فضائل هذا اليوم الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليجتهد أهل الإيمان فيه، وخاصة من يشهد هذا الموقف من حجاج بيت الله الحرام.

الفضيلة الأولى: أنه اليوم الذي أكمل الله فيه الدين لعباده وأتم عليهم نعمته، وهذه من أجل نعم الله على عباده، وفيه نزل قوله تعالى: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة: ٣)، قال ابن كثير رحمه الله: هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل سبحانه وتعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق. (تفسير ابن كثير ج٤/١٩).

وبناءً على ما تقدم أقول: إن القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما الكفاية فيما يحتاج إليه المؤمن في العقيدة والشريعة، ولا يجوز لأحد أن يأتي بشيء من عنده بعد تمام نعمة رب العالمين علينا بإكمال الدين، وليحذر المسلم من الابتداع في الدين، لأنه خروج عن الصراط المستقيم، وقد أدرك اليهود قدر هذه النعمة، ويدل على ذلك أن رجلاً من اليهود قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية؟ قال: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا». قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم جمعة. (البخاري (٤٥)، مسلم (٣٠١٧)).

قال النووي رحمه الله: ومراد عمر رضي الله عنه: أنا قد اتخذنا ذلك اليوم عيدًا من وجهين، فإنه يوم عرفة ويوم جمعة، وكل واحد منهما عيد لأهل الإسلام. (شرح النووي على مسلم ج١٨/١٥٣).

الفضيلة الثانية: أن يوم عرفة من خير أيام الدنيا، سبقت الإشارة إلى أن ايام العشر من ذي الحجة هي أفضل أيام السنة، ويوم عرفة داخل فيها، وقد أقسم الله به في كتابه، ولا يقسم ربنا سبحانه وتعالى إلا بعظيم، وهذا يدل على مزيد فضل لهذا اليوم، قال الله تعالى: «وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ① وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» (البروج: ١-٣). وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة». (وقد حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج٣/١٢٨).

قال ابن الجوزي رحمه الله: وبه قال علي، وابن عباس في رواية، وابن زيد، فعلى هذا سمي يوم الجمعة شاهدًا، لأنه يشهد على كل عامل بما فيه، وسمي يوم عرفة مشهودًا؛ لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة. (زاد المسير ج٩/٧١).

الفضيلة الثالثة: أنه اليوم الذي يعتق الله كثيرًا من عباده من النار؛ في يوم عرفة يتفضل الله على عباده فيعتق كثيرًا منهم من النار، ولا يكون مثل ذلك في يوم سواه، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟». (مسلم: ١٣٤٨).

ولذلك على المسلم أن يتقرب إلى الله بالطاعة والعبادة وحسن الظن بالله، طالبًا النجاة من ربه ومولاه، وأن يبذل الأسباب التي يرجى من ورائها العتق والمغفرة، ومنها: الأعمال الصالحة، وكثرة ذكر الله، والإكثار من شهادة التوحيد، فإنها أصل الدين الذي أكمله الله في هذا اليوم، وأن يحفظ جوارحه عما حرم الله، والعبد إذا تم له العتق من النار، فقد نال الرضى من الله وفاز بجنة ربه جل في علاه، قال تعالى: «فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ» (آل عمران: ١٨٥).

الفضيلة الرابعة: دنو الله تبارك وتعالى من عباده ومباهاته ملائكته بهم: من المعلوم أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بذلك، وهو نزول يليق بجلاله وكماله، لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وبذلك اعتقد أهل السنة والجماعة، والله في نزوله ينادي على عباده ليسألوه ويستغفروه، حتى يجيب دعاءهم، ويغفر لهم، وفي يوم عرفة يدنو من عباده لمثل ذلك، وهذا من فضله على أهل الموقف ورحمته بهم، وقد دل على ذلك جواب النبي صلى الله

عليه وسلم لمن سأله عن ثواب من وقف بعرفة، فقال له: «أما وقوفك بعرفة: فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي، جاءوني شعثًا غبرًا، من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبًا غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك، وأما حلقك رأسك، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك». (أخرجه الطبراني عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع ج١/٢٨٩).

كما أن الرب الكريم سبحانه يباهي ملائكته بالواقفين بعرفة، وقد جاء النص على ذلك في الحديث السابق، ومعنى المباهاة: المفاخرة. (انظر النهاية في غريب الحديث ج١/١٦٩).

وهذا يدل على رضى الله عنهم وغفرانه ذنوبهم، ولذلك استحقوا أن يباهي الله بهم.

الفضيلة الخامسة: أن صيامه يكفر سنتين: يستحب لغير الحاج أن يصوم يوم عرفة، والصيام فيه له مكانة ومنزلة عالية، فهو يكفر ذنوب عامين، كما في حديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده». (مسلم (١١٦٢)).

قال النووي: معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنتين، قالوا: والمراد بها الصغائر. (شرح النووي على مسلم ج٨/٥١).

أما الحاج فيفطر هذا اليوم وثبت هذا من فعل النبي صلى الله عليه وسلم: فعن أم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها أن ناسًا اختلفوا عندها يوم عرفة في صوم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه. (البخاري (١٦٦١)).

الفضيلة السادسة: أنه خير أيام الدنيا للدعاء، الدعاء عبادة عظيمة، وقد أمر الله به عباده في مواطن منها قوله تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (غافر: ٦٠)، ومما يدل على أهمية الدعاء ومكانته أن الله تبارك وتعالى يغضب على من تركه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يدع الله يغضب عليه». (أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٦٥٤)).

ويوم عرفة خير أيام السنة كلها للدعاء، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء: دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٠٣)).

فعلى الحاج في هذا اليوم إخلاص الدعاء لله مع تحقيق التوحيد وكثرة ذكر الله بكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»: لأنها أعظم كلمة في الوجود، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على قولها في أعظم وأفضل الأيام، كما جاء في الحديث السابق، قال ابن عبد البر في شرحه للحديث: وفي الحديث أيضا دليل على أن دعاء عرفة مجاب كله في الأغلب، وفيه أيضًا: أن أفضل الذكر «لا إله إلا الله»، وقد اختلف العلماء في أفضل الذكر، فقال منهم قوم: أفضل الذكر «لا إله إلا الله»، واحتجوا بهذا الحديث، وأنها كلمة الإسلام وكلمة التقوى. (التمهيد ج٦/٤١-٤٢).

ويستحب للحاج وغيره كثرة الدعاء في هذا اليوم، وعلى الداعي الاقتصار على الأدعية المأثورة الواردة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ففيها الخير والبركة، وإذا قبلت حققت العبد ما يريد من خيري الدنيا والآخرة، ومنها قوله تعالى: «رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ» (البقرة: ٢٠١)، ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي من كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر». (مسلم: ٢٧٢٠).

أسأل الله تعالى أن يتقبل من الحجاج حجهم، وأن يرزقنا الحج والعمرة.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الرُّوم

قال الله تعالى: « يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ » (الروم: ٧- ٨).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ظاهر الحياة الدنيا وباطنها:

وَظَاهِرُ الحياة الدُّنيا هُوَ المَذْكورُ في قَوْله تَعالى: « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ » (آل عمران: ١٤).

فظاهرُ الحياة الدُّنيا متاعُها وَشَهواتُها وملذَّاتُها، ووسائل الكَسْب المادي من الزراعة والصِّناعة والتِّجارة، فهُمْ يُتقنُون هذه العُلوم إتقانا، «وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ» حتَّى قَالَ الحَسَنُ رحمَهُ الله: إنَّ أحدَهُمْ لينْقُرُ الدِّرْهَمَ بطرَف ظُفْره فيَذْكرُ وَزْنَه وَلاَ يُخْطئُ، وَهُوَ لا يُحْسنُ يُصَلي. (معالم التنزيل: ٣/٣٩٠).

فَإنْ قيل: وَما بَاطنُ الحياة الدُّنْيا؟

فالجواب: بَاطنُ الحياة الدُّنْيَا هُوَ الحقيقة، وَهُوَ أنَّ الدُّنْيا مَزْرعة الآخرة، وأنَّها ممرٌّ لا مُستقرٌّ، فمَثَل النَّاس فيها كمَثَل مَنْ دَخلوا السُّوق ليَشْتَروا ما يَحتَاجُون إليْه ممَّا يَنْفَعُهُمْ ثُمَّ يَرْجعُون إلى أهْليهمْ. وكَذلك نَحْنُ في الدُّنيا، دَخَلْناها لنَتَزوَّد منها بزاد التَّقْوى، الَّذي يُنَجِّينا الله به من عَذاب الآخرة، وَيُدْخِلُنا به الجَنَّة، كما قَالَ الله تَعالى حكَايَةً عَنْ مُؤْمن آل فرْعَوْن أَنَّهُ قال لقَوْمه: «يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » (غافر: ٣٩، ٤٠).

فَائدَةٌ: ذُكرَتْ «هُمْ» الثَّانيَةُ في قَوْله تعالى: «وَهُمْ عَن الآخرَة هُمْ غافلون ٧» لتُفيد أنَّ الغَفْلة منْهُمْ، وإلاَّ فَأَسْبَابُ التَّذكُّر حَاصلَة، وَهَذا كَمَا يَقُولُ القَائلُ لغَيْره: غَفَلْتَ عَنْ أمْري! فإذا قَالَ هُوَ: شَغَلَني فُلانٌ، فيَقُولُ: مَا شَغَلَك، وَلَكنْ أَنْتَ اشْتَغَلْتَ. (التفسير الكبير: ٢٥/٩٨).

فائدَةٌ أُخْرَى: عَبَّرَ الله تعالى عَنْ جَهْلهمْ بالآخرَة بالغَفْلَة، فَقَالَ: «وَهُمْ عَن الآخرة هُمْ غَافلُونَ ٧» لأنَّ دلائل علم الآخرة مَوْجُودَةٌ، ولكنَّهُمْ عنْهَا غَافلُون، فلَوْ تَأَمَّلوا

لتذكروا، كما قال تعالى: «وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» (مريم: ٦٦، ٦٧)، وقال تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ» (الواقعة: ٦٢).

«أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ» (الروم: ٨-١٦):

من دلائل التوحيد والبعث:

١- خلق الإنسان:

لَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنِ الآخِرَةِ غَافِلِينَ أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَمَا حَوْلَهُمْ، لِيَسْتَدِلُّوا بِمَا يَرَوْنَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالَ تَعَالَى: «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم»؟! وَالْمَعْنَى: لماذا يَكْفُرُونَ بِاللهِ؟! «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم»؟! وَلِمَاذَا يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟! «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِم»؟!

فَلَوْ تَفَكَّرَ الإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَعَلِمَ أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ» (عبس: ١٧-٢٣)، وَقَالَ تَعَالَى: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (البقرة: ٢٨).

فَلَوْ تَأَمَّلْتَ فِي نَفْسِكَ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَعَلِمْتَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ. فَتَأَمَّلْ فِي يَدِكَ! لماذا كَانَتِ الأَصَابِعُ خَمْسًا، وَلَمْ تَكُنْ أَرْبَعًا وَلا سِتًّا؟! وَلِمَاذَا كَانَتِ الْوُسْطَى أَطْوَلَهُنَّ؟! وَلِمَاذَا كَانَتِ الأَرْبَعُ أَعْلَى الْكَفِّ دُونَ الإِبْهَامِ؟! وَلِمَاذَا كَانَتِ الأَرْبَعُ ذَاتَ ثَلاثِ عُقَدٍ دُونَهَا أَيْضًا؟!

ثُمَّ تَأَمَّلْ وَجْهَكَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْعَيْنَيْنِ، وَالسَّوَادِ، وَالْبَيَاضِ، وَالْحَوَاجِبِ، وَالرُّمُوشِ، وَكَيْفَ يَحْفَظُ اللهُ عَيْنَيْكَ الْمَفْتُوحَتَيْنِ وَأَنْتَ نَائِمٌ فَتُغْمِضُهُمَا، حَتَّى لا تُؤْذِيكَ الْهَوَامُّ. وَتَأَمَّلْ أُذُنَيْكَ اللَّتَيْنِ لا غِطَاءَ لَهُمَا، كَيْفَ يَحْفَظُكَ اللهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ نَائِمٌ، فَلا يَدْخُلُهُمَا شَيْءٌ مِمَّا يُؤْذِيكَ! وَصَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ: «قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ»، وَهُوَ سُؤَالٌ لِلإِنْكَارِ، وَلِلتَّوْبِيخِ عَلَى غَفْلَتِهِمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَهُوَ الَّذِي يَكْلَؤُهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَلا رَاعِيَ لَهُمْ سِوَاهُ، «بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ» (الأنبياء: ٤٢)، فَسِرُّ كُفْرِهِمْ هُوَ الإِعْرَاضُ وَالْغَفْلَةُ، وَإِلَّا فَلَوْ تَأَمَّلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ لاسْتَدَلُّوا بِجَمَالِ خَلْقِهِمْ عَلَى خَالِقِهِمْ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى بَعْثِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ» (الانفطار: ٦-٩)، وَقَالَ تَعَالَى: «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ» (المؤمنون: ١٣-١٦)، وَقَالَ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى

ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ » (الحج: ٥-٧).

٢، ٣- خلق السموات والأرض:

وقوله تعالى: «ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى» جملة مستأنفة تنزه الله تعالى عما لا يليق بجلاله من العبث، لأنهم لما أنكروا البعث طعنوا في حكمة الرب، فقال تعالى: «ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق» أي ما خلقهما باطلاً، ولا عبثا بغير حكمة بالغة، وإنما خلقهما مقرونتين بالحق، مصحوبتين به، «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » (الملك ٢)، «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » (الأنعام: ١٦٤).

وقد صرح ربنا سبحانه بهذا في أكثر من موضع: قال تعالى: «وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ » (ص: ٢٧، ٢٨)، وقال تعالى: « وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ » (الدخان: ٣٨-٤٠)، وقال تعالى: «وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل» (الحجر: ٨٥).

وقوله تعالى: «وأجل مسمى» يعني أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وجعل لهما أجلاً ينتهيان إليه، كما خلق الخلق وجعل لكل مخلوق أجلاً، قال تعالى: « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (الأعراف: ٣٤)، وقال تعالى: « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا » (آل عمران ١٤٥).

وقد جمع الله تعالى في الذكر بين أجل الناس وأجل السماوات والأرض، فقال تعالى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ » (الأنعام: ١، ٢)، فقوله تعالى: «ثم قضى أجلاً» أي لكل منكم، وقوله تعالى: «وأجل مسمى عنده» هو أجل الدنيا، أجل السماوات والأرض، الذي إذا جاء قامت القيامة، وهذا الأجل لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى: «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ » (فصلت ٤٧)، وقال تعالى: « وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (الزخرف: ٨٥)، وقال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (لقمان: ٣٤). ولذلك لما سأل جبريل عليه السلام النبيَّ صلى الله عليه وسلم: متى الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» (صحيح البخاري: ٥٠).

ومع ظهور الأدلة، ووضوح البراهين، الدالة على أن البعث حق، «وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ٨»، كما قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا » (الإسراء: ٩٩).

فائدة: قال هاهنا: «وإن كثيرا من الناس»، وقال من قبل: «ولكن أكثر الناس»، وذلك لأنه من قبل لم يذكر دليلاً على الأصلين، وهاهنا قد ذكر الدلائل الواضحة، والبراهين اللائحة، ولا شك في أن الإيمان بعد الدليل أكثر من الإيمان قبل الدليل، فبعد الدلائل لا بد من أن يؤمن من ذلك الأكثر جمع، فلا يبقى الأكثر كما هو، فقال بعد إقامة الدليل: «وإن كثيرا من الناس»، وقبله: «ولكن أكثر الناس». (التفسير الكبير: ٢٥/١٠٠).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

نور المحجة في استقبال ذي الحجة

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله مُصرّف الوقت والزمن والدهر، القدير على ما يشاء بالعز والقهر، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن وظيفة عمر العبد هي السعي لفكاك رقبته من النار، والفوز بعفو العزيز الغفار، وقد تفضل الله علينا بنفحات دهرنا في رمضان، ثم الاستقامة على الطاعات للموفَّق في شهر شوال، ثم ما ابتدأناه من وقفة مع النفس للمراجعة والتصحيح لطريق الاستقامة من بدايته، وقد تفضل الله علينا ببقية في العمر حتى كتابة السطور ورجاء الفوز في عشر ذي الحجة من الرب الغفور، وقد لاقى قدرًا أنه تتمة لتذكير الأخيار بما يقرب من الجنة ويباعد عن النار، وقد تقرر لدينا من الحديث أنه ليس ثمة طريق لهذا من الأسباب بعد تفضل الملك الوهاب إلا طريق العمل الصالح المشروع والبعد عن السعي المخالف الممنوع، وللتتمة نقول:

الحديث:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنَة ويُبَاعِدُني عن النار، قال: "لقد سألتَ عن عظيمٍ، وإنه ليسيرٌ على من يَسَّرَهُ اللهُ عليه: تَعْبُدُ الله ولا تُشركُ به شيئًا، وتُقيمُ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ"، ثم قال: "ألا أدُلُّكَ على أبْوَابِ الخير؟: الصومُ جُنَّةٌ، والصدقةُ تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماءُ النارَ، وصلاة الرجل من جوف الليل، قال: ثم تلا: « تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ » - حتى بلغ - « يَعْمَلُونَ » (السجدة: ١٦-١٧)، ثم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر (كله) وعموده وذروة سَنَامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: "رأس الأمر الإسلامُ، وعَمُوده الصلاةُ، وذروة سَنَامه الجهاد"، ثم قال: "ألا أخبرك بِملاكَ ذلك كلِّه"؟ فقلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه، قال: "كفَّ عليك هذا"، فقلت: يا نبي الله، وإنّا

لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال: "ثكلتك أُمك (يا معاذ)، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم - أو "على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم".

ثانيا: التخريج:

رواه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وصححه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٢٨٤).

ثالثا: مفردات الحديث: تقدمت في العدد السابق؛ فلتراجع تفضلاً.

رابعا: وفيما يستفاد من الحديث: تقدم ذكر ما يلي في العدد السابق:

١- عبادة التواضع والافتقار.

٢- القصد إلى معالي الأمور.

٣- الأعمال الشرعية من أهم الأسباب المنجية.

وللتتمة نستعين ربنا ونقول:

٤- من أهم سبل النجاة مما يقرب من الجنة ويباعد عن النار هي ما وصف رسول الله من الأعمال مما تفضل به علينا من فضائل الأعمال، ومن ذلك:

أ- تأكيده صلى الله عليه وسلم على تحقيق التوحيد والبعد عن الشرك بالله؛ لذا فإنني أذكر نفسي وإخواني بدعوات مباركات كتب الله لها البقاء حين قدمت ما قدم الشرع؛ إذ قدمت دعوة التوحيد على كل شيء، وألحت في هذه الدعوة حتى اتهمهم من لا يعلم أنهم متقوقعون حول هذه الفكرة، وها نحن الآن يا إخواني نقول: إنها ليست مجرد فكرة بل هي عقيدة ورب الكعبة، إنه لا فلاح ولا نجاح، ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا من هذه البوابة التي تفضل الله بها على عباده؛ فأخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن تشتت الآلهة الباطلة إلى راحة القلب بالعبودية للإله الحق؛ فيكون بذلك التوفيق من رب البرية ورجاء العون معه والمعية فيوفق في مسامعه ومشاهده ومساعيه وقراراته، يكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وأما عن الاستطراد في أدلة التوحيد وتقريره، فربما لا يتسع لها المقام؛ فأخاف من الخلل وأرجو أن يُفرد لها مقال أوسع وأرجى تعبيرًا، ولا يملن داعٍ ولا مدعو من التكرار؛ فإن من أدمن طرق الباب يوشك أن يفتح له، قال الحمداني:

تَهُونُ علينا في المعالي نُفوسُنا
ومنْ يخطبِ الحسناءَ لمْ يغلها المهرُ

ب- الاجتهاد في شرائع الاسلام: لا سيما أركانه كما قال صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث (وتُقيمُ الصلاة، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ)، وإننا بصدد هذه الأركان الركينة نريد أن نتعامل معها من منظور رشيد بالنسبة لنا رغم أنه من مقاصدها يوم أن شُرعت، ومارسها الصحابة الطيبون هذا المنظور هو جزء من المقاصد العبادية والفوز بها. وخلاصة هذا المنظور واختصاره أن هذه العبادات هي تفضل من الله علينا لنسعد في الدنيا والآخرة، هي جلسات إيمانية ومحاضن تربوية وترقية خلقية وثقافة سلوكية وراحة نفسية وتدريب عملي على أساس علمي للقيادة والريادة، وسبب لتحصيل كل أسباب الرزق والسعادة، وغير ذلك كثير من منابع النور وكنوز الخير التي تفيض بها معاني العبادات والتي لا يدركها إلا المتدبرون فليست الصورة الموروثة التي أورثت وربت أبناءها على تكاليف العبادات ومشقتها دون النظر لحسن معانيها وجميل

> “ العبادات هي تفضل من الله علينا لنسعد في الدنيا والآخرة، هي جلسات إيمانية ومحاضن تربوية وترقية خلقية. ”

كُنه حقيقتها.

٥- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على نصح أمته:

وهكذا أتباعه يكونون؛ فلقد بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض على معاذ رضى الله عنه قائلاً: "ألا أدلك على أبواب الخير؟"، ثم ذكر له النبي صلى الله عليه وسلم من الأبواب خلاف ما سبق ما تشابه معه في الاسم واختلف في بعض القصد وشيء من الرسم؛ فذكر الصيام لكنه التطوع غير سابقه الركن، وذكر الصدقة وهي خلاف ركن الزكاة، وذكر صلاة الليل وما لفضلها الذي لا تكفيه من مقالتنا الإشارة غير أنها ضرورة المجلة في اختصار العبارة، لكنه على الجملة ذكر من النوافل ما يتبع الذي سبقه من الأركان، ثم كرر وأضاف وأكد فأكد مرة أخرى على الإسلام والذي يجتمع ويفترق مع التوحيد والإيمان، وذكر مرة أخرى الصلاة وهي الثالثة في طرحها والدعوة إليها من منظور وتعبير جديد، وعليه فلا يعيبن ناقد على ذي بصيرة إذا نصح ذو البصيرة رعيته بالصلاة إذا حزبهم وأهمهم أمر وما أكثره في هذه الأيام، ثم ختم هنا بالجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام.

٦- مراعاة الحكمة وفقها لأولويات في التدرج في الدعوة إلى الله:

وهو موضوع ذو شجون وآلام وآمال، وبعيدًا عن كثرة الآراء والفلسفات؛ فإن الحكمة في ذلك هي السنة، وهي أن نبدأ بما بدأ به الشرع ونرتب كما رتب الشرع ففي خالص العبادات الجسدية بدأ بعد التوحيد بالأركان، ثم ثنّى بالنوافل المستطاعة قدر الإمكان ثم أكد على أهمية الأهم منها (الإسلام والصلاة)، ثم أرشد إلى عبادة الجهاد التي يقدر على القيام بها على الوجه الأتم مَن استطاع جهاد نفسه بسابق العبادات، ثم ختم صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بإرشاد السائل الجليل إلى ملاك الأمور بعد النوايا في الأجور ألا وهو جارحة اللسان، وما أدراك ما جارحة اللسان الذي لا يزن ثقلاً ماديًا كبيرًا لكنه يستحوذ على أكبر العبادات من الطاعات قال تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت:٤٥)، كما أنه يُورّط تاركه لعنانه في أحط الدركات، "وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"، فكان الختام به تلخيصًا للحذر من المخالفات والفوز بالعبادات والقربات.

> "ها هي الأيام العشر قد أطلت علينا بنورها ننتظر نسيم فجرها فنصحح فيها ما يحتاج في السجلات."

٧- وخاتمة الخير:

مما يستفاد من الحديث الاجتهاد في الأعمال الصالحات؛ ويزيد ذلك تأكدًا في هذه الأيام النفحات ومواسم الخيرات؛ فها هي الأيام العشر قد أطلت علينا بنورها ننتظر نسيم فجرها فنصحح فيها ما يحتاج في السجلات، نستنهض فيها الهمم، ونستمطر فيها الرحمات نئوب فيها ونتوب، فإن كان حديثنا الشريف قد أرشد إلى إنعام الله علينا بالاجتهاد في الطاعات، وما تفضل علينا بعائد ذلك من السعادة والريادة، وعلو المقامات؛ فإن هذا الاجتهاد تتعين فيه الزيادة في هذه الأيام المباركات التي اختصها الله بخصوصية من البركات؛ إذ ندبت الأحاديث النبوية إلى العمل الصالح مطلقًا في هذه الأيام، قال صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ أَيَّامِ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ". فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ" (البخاري: ٩٦٩)؛ فيها الصيام والقيام والقرآن والصدقة وعرفات والحج، وليسا في غير هذه الأيام.

وفي قوله: "العمل الصالح" إشارةٌ إلى جنس

الأعمال الصّالحة بأنواعها، سواء كانت واجبةً يقدمها ويُحافظُ عليها، أم نافلةً تلي الأولى ويُكثر منها؛ هذا وإن كان الشيء بالشيء يُذْكر فإن من جملة الصالحات زيادة على ما سبق التقرب إلى الرب بمحبة وخدمة الخلق وحب الطاعات وبغض المخالفات وإفشاء السّلام، وإطعام الطّعام، وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، وإكرام الضّيفان، وإماطة الأذى، وزيارة المرضى، وقضاء الحوائج، والصّلاة على النّبي صلى الله عليه وسلّم، وإسباغ الوضوء وانتظار الصلاة، والدّلالة على الخير، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وسلامة الصّدر والدعاء للمخالف بالهداية، والمداومة على محاسبة النفس واتهامها بالغواية للوصول بها إلى بر الهداية، وتعليم الأولاد والبنات شعب الخير والرشاد، وإصلاح ذات البين وما تحتاج إليه من تقنين للجانها تساعد على نجاحها، وهذه المهمة مما يُحتاج إليه في هذه الأيام بعد انتشار المخالفات وخراب الذمم واستحواذ الشياطين على بعيدي الخطوات عن بيوت الله وأماكن الطاعات. هذا وإن من أرجى الأعمال وعبادة الأوقات ما يحتاج إليه الناس من صلاح للبلاد والعباد ونصيحة المسلمين وخدمتهم، وغير ذلك من شُعَب الخير، وليسبق ذلك كله ويصحبه مقام التوبة والافتقار إلى الله تعالى.

العمل الصالح إشارة إلى جنس الأعمال الصّالحة بأنواعها، سواء كانت واجبة يقدمها ويحافظ عليها، أم نافلة تلي الأولى ويُكثر منها.

ألا يا باغي الخيرات أقبل
إلى ذي الحجّة الشهر الحرام
به العشر الأوائل حين هلت
أحب الله خيراً للأنام

وهذا يستلزم منا لزوم للخلوات والدعوات أن يحفظ الله علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ودنيانا التي فيها معاشنا وآخرتنا التي إليها معادنا. وفي هذا القدر الكفاية

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

تهنئ أنصار السنة نفسها ابتداءً، ثم ابنها وخادمها البار **فضيلة الشيخ الدكتور محمد عاطف عبدالكريم التاجوري**؛ وذلك بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بعنوان: «آيات المتشابه في القرآن الكريم- تفسيرها وفقهها، دراسة مقارنة»، بدرجة مرتبة الشرف الأولى، وتكونت اللجنة من كلّ من:

أ.د/ حسين أحمد عبد الغني سمرة، الأستاذ بقسم الشريعة الإسلامية بالكلية، مشرفًا.

أ.د/ محمود عوض سلامة، الأستاذ بكلية الحقوق، جامعة بني سويف مناقشًا.

أ.د/ علي عبد القادر عثمان، الأستاذ بقسم الشريعة الإسلامية بالكلية، مناقشًا.

وإذ تشكر الجمعية لجنة المناقشة والإشراف كما تشكر كل من شاركها ولو بالدعاء؛ فإننا نخص بالشكر الدكتور عاطف نفسه حين ضرب للدعاة مثالاً على الصبر والتواضع على رسميات الجامعات للوصول إلى نهاية الخطوات المباركات، لا أقول لحصوله على أعلى الدرجات، بل نقول لتشرُّف اللقب به، فاللهم اجعلها سببًا لسعادة الدارين له وللمسلمين، آمين.

فقه المرأة المسلمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعدُ، فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن مقدار النفقة، وحسن معاشرة المرأة، وحثّ الزوج الزوجة على فعل الخير، وخروج النساء لحوائجهن، ونستكمل فقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

أولا: تحريم إفشاء سر الزوجة:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنَّ منْ أشَرِّ النَّاس عنْدَ الله مَنْزلَةً يَوْمَ الْقيَامَة الرَّجُلَ يُفْضي إلَى امْرَأته وَتُفْضي إلَيْه ثُمَّ يَنْشُرُ سرَّهَا» - أخرجه مسلم (١٤٣٧).

جاء في سبل السلام (٢٠٦/٣): والحديث دليل على تحريم إفشاء الرجل ما يقع بينه وبين امرأته من أمور الوقاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، وأما مجرد ذكر الوقاع فإذا لم يكن لحاجة فذكره مكروه لأنه خلاف المروءة، وقد قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمنُ بالله وَالْيَوْم الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ ليَصْمُتْ» - أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

فإن دعت إليه حاجة أو ترتبت عليه فائدة، بأن كان ينكر إعراضه عنها أو تدعي عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك فلا كراهة في ذكره كما قال: «إني لأفعله أنا وهذه»، وقال لأبي طلحة: «أعرستم الليلة» أخرجه البخاري (٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤).

وقال لجابر: «الكيس الكيس»، وكذلك المرأة لا يجوز لها إفشاء سره وقد ورد به نص أيضًا.

ثانيا: إتيان الرجل زوجته:

الوطء حق من الحقوق الزوجية، فهو حق للزوجة كما هو حق الرجل. قال الله تعالى: «فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» (البقرة: ٢٢٢).

ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب الوطء؛ لأنه حق من حقوق الزوجة، وهذا مذهب مالك وأحمد وشيخ الإسلام وغيرهم.

ومذهب الشافعي أنه ليس واجبًا وحجته أنه حق له فجاز له تركه.

أقوال أهل العلم:

جاء في شرح المهذب (١٣١/١٨): قلنا: إن الوطء ليس واجبًا عندنا، لأنه حق له فلا يجب عليه كسائر الحقوق. وقال أحمد ومالك: الوطء واجب على الرجل إلا أن يكون له عذر.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٧١/٣٢): يجب على الرجل أن يطأ زوجته بالمعروف، وهو من أوكد حقها عليه وأعظم من إطعامها.

والوطء الواجب قيل: إنه واجب في كل أربعة أشهر مرة. وقيل بقدر حاجتها وقدرته، كما يطعمها بقدر حاجتها وقدرته، وهذا أصح القولين، والله أعلم.

قال العلامة السيوطي: في شرح غاية المنتهي (٢٦٧/٧): ويلزمه: أي الزوج وطء زوجته مسلمة كانت أو كافرة، حرة أو أمة بطلبها في كل ثلث سنة مرة إن قدر على الوطء نصًا؛ لأن الله تعالى قدره في أربعة أشهر في حق المولى وكذا في حق غيره؛ لأن اليمين لا توجب ما حلف عليه فدل أن الوطء واجب بدونها.

تعقيب وترجيح

أرى -والله تعالى أعلم- أن الصواب مع جمهور أهل العلم من أن الوطء واجب وأنه حق من حقوق الزوجة لأنه إذا لم يجامعها لم يأمن منها الفساد وربما كان سببًا للعداوة والبغضاء بينهما.

ثالثا: ما يقول الرجل إذا أتى أهله:

إذا أراد الزوج أن يأتي امرأته سُنَّ له أن يسمي

ويستعيذ بالله من الشيطان لما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»- أخرجه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤).

رابعًا: حكم إتيان المرأة في دبرها:

قال تعالى: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ» (البقرة: ٢٢٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا»- رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٦٢)، قال الحافظ في بلوغ المرام: إن رجال حديث أبي هريرة هذا ثقات لكن أعل بالإرسال- النيل (٢٣٨/٦).

- وعن عمارة بن خزيمة عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ لا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ»- أخرجه أحمد في المسند (٢١٣/٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٩٢٤)، والطحاوي في شرح المعاني (٤٠٤/٢)، والدارمي (٢٢٣١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ بَرِئَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام»- أخرجه الطحاوي في شرح المعاني (٤٣٢٨)، وأحمد في المسند (٩٢٩٢).

- ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إلى تحريم إتيان المرأة في دبرها للأحاديث الصريحة التي جاءت بذلك وإن كان أهل العلم اختلفوا في تصحيحها إلا أن العمل عليها عند أكثر أهل العلم، أيضًا استدل لقولهم بأن الله تعالى حرم وطء المرأة الحائض لأجل الأذى فكان الدبر أولى بالتحريم؛ لأنه أعظم أذى، وهذا مذهب الأئمة الأربعة وابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشوكاني وغيرهم.

وقال بعض أهل العلم يجوز إتيان المرأة في دبرها وحجتهم قول الله تعالى كما تقدم أول المسألة، وهذا ما ذهب إليه ابن عمر وموافقوه.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٩٦/٣، ٩٧) باختصار: وذكر الحرث يدل على أن الإتيان في غير المأتى محرم و«حرث» تشبيه لأنه مزدرع الذرية، فلفظ «الحرث» يعني أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج خاصة....

قوله تعالى: «أنى شئتم» معناه عند الجمهور من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى: من أي وجه شئتم مقبلة ومدبرة، كما ذكرنا آنفا... إلى أن قال: وذهبت فرقة ممن فسرها بـ «أنى» إلى أن الوطء في الدبر مباح وممن نسب إليه هذا القول: سعيد بن المسيب ونافع وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وعبد الملك بن الماجشون، وحُكي ذلك عن مالك في كتاب له يسمى كتاب «السر»، وحذاق أصحاب مالك ومشايخهم ينكرون ذلك الكتاب، ومالك أجل من أن يكون له كتاب سر.

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر أن العلماء لم يختلفوا في الرتقاء التي لا يوصل إلى وطئها أنه عيب ترد به إلا شيء جاء عن عمر بن عبد العزيز من وجه ليس بقوي أنه لا ترد الرتقاء ولا غيرها، والفقهاء كلهم على خلاف ذلك؛ لأن المسيس هو المبتغى بالنكاح، وفي إجماعهم على هذا دليل على أن الدبر ليس بموضع وطء ولو كان موضعًا للوطء ما ردت من لا يوصل إلى وطئها في الفرج... وما نسب إلى مالك وأصحابه من هذا باطل وهم مبرؤون من ذلك؛ لأن إباحة الإتيان مختصة بالحرث لقوله تعالى: «فأتوا حرثكم»، ولأن الحكمة في خلق الأزواج بث النسل فغير موضع النسل لا يناله ملك النكاح وهذا هو الحق.

قال الماوردي في الحاوي (٣١٧/٩): اعلم أن مذهب الشافعي وما عليه الصحابة وجمهور التابعين والفقهاء أن وطء النساء في أدبارهن حرام.

جاء في الإنصاف (٣٤٦/٨): قوله: ولا في الدبر، وهذا أيضًا بلا نزاع بين الأئمة، ولو تطاوعا على ذلك فرق بينهما. ويُعزر العالم بالتحريم منهما ولو أكرهها الزوج عليه نهي عنه، فإن أبى فُرّق بينهما - ذكره ابن أبي موسى وغيره.

وإلى القول بتحريم إتيان المرأة في دبرها ذهب ابن حزم في المحلى (٢٢٠/٩) وابن القيم، نقل

عنه هذا القول ووافقه عليه الشوكاني في النيل (٦/٢٤٠).

خامسًا: ما يحل للزوج من الحائض:

- عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: «وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ» (البقرة: ٢٢٢) إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا- أخرجه مسلم (٣٠٢).

- وعن عائشة، قالت: «كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَتَأْتَزِرُ بِإِزَارٍ ثُمَّ يُبَاشِرُهَا». أخرجه البخاري (٣٠٠)، ومسلم (٢٩٣).

اعلم أن مباشرة الحائض أقسام:

أحدها: أن يباشرها بالجماع في الفرج، فهذا حرام بإجماع المسلمين لأنه نص القرآن والسنة الصحيحة.

القسم الثاني: المباشرة فيما فوق السرة وتحت الركبة، وهو حلال باتفاق العلماء للأحاديث الصريحة في ذلك.

القسم الثالث: مباشرة الحائض كيف شاء دون الجماع في الفرج وحجة أصحاب هذا القول حديث أنس المتقدم وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ»- أخرجه مسلم (٣٠٢)، وحملوا الأحاديث التي جاءت بجواز مباشرة ما فوق الإزار على الاستحباب وهذا مذهب أحمد بن حنبل وأهل الظاهر.

وذهب أكثر أهل العلم منهم الأئمة الثلاثة مالك وأبو حنيفة والشافعي إلى أنه يحل له ما فوق الإزار منها، وحجتهم الأحاديث التي جاءت بذلك كما ذكرنا أول المسألة.

أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي في شرح المعاني (٢/٣٩٩): بعد أن ساق جملة من الآثار... فكان في ذلك دليل على المنع من جماع الحيض تحت الإزار، أن ما فيه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره ما فوق الإزار فإنما هو جواب لسؤال عمر رضي الله عنه إياه (ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضًا؟). فقال له "ما فوق الإزار، فكان ذلك جواب سؤاله لا نقصان فيه ولا تقصير... ثم ساق حديث أنس، قال: ففي حديث أنس رضي الله عنه هذا إباحة جماعها فيما دون الفرج وكان الذي في حديث عمر الإباحة لما فوق الإزار، والمنع ما تحت الإزار فاستحال أن يكون ذلك متقدمًا لحديث أنس رضي الله عنه إذا كان حديث أنس رضي الله عنه هو الناسخ لاجتناب الاجتماع مع الحائض ومواكلتها ومشاربتها، فثبت أنه متأخر عنه وناسخ لبعض الذي أبيح فيه.

فثبت بذلك ما ذهب إليه أبو حنيفة رحمة الله عليه.

قال الشافعي في الأم (١/١٢٩): ودلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزال ما تحت الإزار منها وإباحة ما سوى ذلك منها.

وفي المدونة الكبرى (١/١٥٣): قال مالك: في الحائض لتشد عليها إزارها ثم شأنه بأعلاها، قلت: ما معنى قول مالك ثم شأنه بأعلاها؟ قال: سُئل مالك عن الحائض أيجامعها زوجها فيما دون الفرج فيما بين فخذيها؟ قال: لا ولكن شأنه بأعلاها.

جاء في الإنصاف (١/٣٣٠): ويجوز أن يستمتع من الحائض بما دون الفرج، هذا المذهب مطلبًا وعليه جمهور الأصحاب.

قال أبو محمد بن حزم في المحلى (٩/٢٣١): وحلال للرجل من امرأته الحائض كل شيء حاشا الإيلاج فقط... ثم ساق مذاهب أهل العلم في ذلك، قال: قد بينا سقوط جميع الأقوال التي قدمنا إلا هذا القول وساق حديث أنس المتقدم.

تعقيب وترجيح

بعد عرض أدلة كل طائفة في المسألة، أرى أن الصواب ما ذهب إليه جماهير العلماء منهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد من أن مباشرة المرأة الحائض فيما فوق الإزار أي فيما فوق السرة وتحت الركبة، وذلك لأسباب منها أنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم من حديث عائشة وميمونة رضي الله عنهما، ومنها أن هذا القول أقرب للتقوى وأبعد عن الوقوع في المحظور، والله تعالى أعلم وأحكم.

أعمال الحج عِبَرٌ للخلق

إعداد / الشيخ: صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة والصلاة والسلام على سيد الأنام.

أما بعد: فمشاهد الحج فيها تذكرة، وهي تذكر بالموت دائمًا، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بتذكر الموت دائمًا-عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَكْثِروا ذِكْرَ هاذِمِ اللذَّاتِ فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ . قطّ . وَهُوَ فِي ضيقٍ إلاَّ وَسَّعَهُ عَلَيْه وَلاَ ذَكَرَهُ وَهُوَ في سَعَةٍ إلا ضَيَّقَهُ عليه) حسنه الألباني صحيح الجامع (١٢١١) تذكر الموت في كل أحوالك.

الحج يذكرنا بالموت عند السفر:

أولا قبل السفر:

١- التزود بالتقوى: قال تعالى: «ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» (البقرة: ١٩٧).

فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً لا حيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير. (إحياء علوم الدين: ١/٢٦٧).

٢- قبل السفر يبادر الحاج بالتوبة النصوح، ورد المظالم وقضاء الديون، لأنه لا يدري هل يعود أم لا؟ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِه، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْه». صحيح مسلم (٦٥٣٤).

٣- على الحاج أن يكتب وصيته، وماله وما عليه ويوصي أهله بالخير لأنه قد يكون آخر سفر في حياته. فعَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ». رواه البخاري (٢٧٣٨)، مسلم(١٦٢٧).

ثانيا: عند السفر:

١- عند لبس الإحرام:

أما شراء ثوبي الإحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه فيه سيرتديه ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل الدنيا، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن. (إحياء علوم الدين ١/٢٦٨).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبِيضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ. مسند أحمد (٣٠٣٦) تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

٢- عند ركوب وسائل المواصلات:

ليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل. (إحياء علوم الدين ١/٢٦٧).

ثالثا: يوم عرفة كيوم الحشر:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ نَجْد أَتَوْا رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى: «الْحَجُّ عَرَفَةُ. سنن الترمذي (٨٨٩) صحيح الجامع (٣١٦٧).

(الحج عرفة)، أي: أن ركن الحج الأعظم الذي لا يتم الحج إلا به هو وقوف عرفة. دروس الشيخ علي بن عمر بادحدح (١٢/١٧).

- سبحان الله يوم عرفة صورة مصغرة ليوم القيامة.

يوجد ملايين الناس في يوم عرفة في مكان واحد.

- أما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام. الخلق وارتفاع الأصوات وباختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيُّرهم في ذلك الصعيد الواحد بَيْنَ الرَّدِّ والقبول. إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٠).

قال تعالى: «قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ» (الواقعة: ٤٩- ٥٠): آدم وأولاده كلهم في مكان واحد للحساب.

رابعا: تذكر يوم القيامة عند السعي بين الصفا والمروة:

السَّعْيُ: قَطْعُ الْمَسَافَةِ الْكَائِنَةِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ذَهَابًا وَإِيَابًا بَعْدَ طَوَافٍ فِي نُسُكِ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ. الموسوعة الفقهية الكويتية (١١/٢٥).

ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رُكْنٌ فِي الْحَجِّ أَوِ الْعُمْرَةِ. الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/٢٥).

قال تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ١٥٨).

عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه: قَالَ «قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ، فَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا». رواه البخاري (١٦٤٥) ومسلم (١٢٣٤).

ليتذكر (الحاج) عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران. إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٠).

السؤال هل الميزان يوم القيامة حجمه كبير؟

أ- قال تعالى: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» (الأنبياء: ٤٧).

ب- عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. السلسلة الصحيحة (٩٤١): كم حجم كفة الميزان التي توضع فيه السموات والأرض؟ ينظر إلى الميزان ليشاهد النتيجة!

خامسا: تذكر الآخرة في الدعاء: قال تعالى:

«فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» (البقرة: ٢٠٠- ٢٠٢).

الحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالايثار، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به، والحث عليه.

- روى مسلم (٢٦٩٠) والبخاري (٦٣٨٩) سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام ودخول الجنة بسلام.

فضل العشر من ذي الحجة

إعداد الشيخ/صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. أمَّا بعدُ: فإنَّ الله تعالى جعل لنا مواسم للبركات، فالسعيد من اغتنمها بالطاعات والتقرب إلى الله ليرفع رصيده من الحسنات، والشقي من حرمه الله خيرها، ومن هذه المواسم المباركة العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، التي لها منزلة كبيرة في قلب كل مسلم حريص على التقرب لله تعالى. من أجل ذلك، أحببت أن أذكر نفسي وطلاب العلم الكرام بفضل العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، فأقول بالله تعالى التوفيق:

ذو الحجة أحد الأشهر الحرم

قال الله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة٣٦).

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللَّه السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ. (البخاري حديث ٥٥٥٠، ومسلم حديث ١٦٧٩).

فضل العشر الأول من ذي الحجة:

قال الله تعالى: (وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾) (الفجر ١: ٥)؛ قال مُجَاهِدُ بنُ جبر: المُرَادُ به فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ خَاصَّة، وَهُوَ خَاتِمَةُ اللَّيَالِي العَشْر. وقوله تعالى (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) المُرَادُ بهَا عَشْرُ ذي الحِجَّة. وهذا قول عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم. (تفسير ابن كثير جـ ١٤ صـ٣٣٧: ٣٣٨).

قال سبحانه (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ) (الحج:٢٨)؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: وَاذْكُرُوا اللَّه في أَيَّام مَعْلُومَات: أَيَّامُ العَشْر، وَالأَيَّامُ المَعْدُودَاتُ: أيَّامُ التَّشْرِيق. (البخاري كتاب العيدين باب ١١).

روى البخاريُّ وأبو داود (وهذه رواية أبي داود) عَنْ ابْنِ عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم مَا مِنْ أَيَّامِ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّه مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ يَعْنِي أَيَّامَ العَشْرِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه قَالَ وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ. (البخاري حديث ٩٦٩، صحيح أبي داود للألباني حديث ٢١٣٠).

قال ابنُ حجر العسقلاني: في هذا الحديث

تفضيلُ بعْضِ الأزْمنة علَى بعْض كالأمكنة وفضلُ أيَّام عشر ذي الحجَّة على غيرها منْ أيَّام السَّنة، وتظْهرُ فائدةُ ذلك فيمنْ نذر الصِّيام أوْ علَّق عملاً من الأعْمال بأفْضل الأيام فلوْ أفْرد يوْمًا منْها تعْيين يوْمُ عرفة لأنَّه على الصَّحيح أفْضلُ أيَّام العشْر المذْكور فإنْ أرادَ أفْضل أيَّام الأسْبُوع تعيَّنَ يَوْمُ الجُمُعة.. وقال رحمهُ الله: اسْتُدلَّ به على فضْل صيام عشر ذي الحجَّة لانْدراج الصَّوْم في العمَل. والَّذي يَظْهرُ أنَّ السَّبب في امْتياز عشر ذي الحجَّة لمكان اجْتماع أمَّهات العْبادة فيه وهي الصَّلاةُ والصِّيامُ والصَّدقةُ والحجُّ ولا يتأتَّى(يُتاحُ) ذلك في غيْره. (فتح الباري لابن حجر. جـ٢ . صـ ٥٣٣: ٥٣٤).

أسباب المغفرة في العشر الأول من ذي الحجة

المحافظة على صلاة الفرائض جماعة في المساجد

قال تعالى (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ) (البقرة:٢٣٨)، إقامة الصلوات المفروضة في الجماعة الأولى في المساجد فرض عَين على كل مُسلم ذكر، بالغ، عاقل، قادرٍ على الذهاب إلى المساجدَ، إلا أصحابَ الأعذار.

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَال: أَتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ أعْمَى فقَالَ يا رَسُولَ الله إنَّهُ لَيْسَ لي قَائدٌ يَقُودُني إلى المَسْجد فسَأَلَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يُرخِّصَ لَهُ فيُصَلِّيَ في بَيْته فَرَخَّصَ لَهُ فلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فقَالَ هل تَسْمَعُ النِّداءَ بالصَّلاة قَالَ نَعَمْ قَالَ فأَجبْ. (مسلم حديث ٦٥٣)، وينبغي على كل مسلم أن يتذكر عظيم ثواب صلاة الجماعة في المساجد.

قيام الليل

قيام الليل من أفضل الأعمال التي يمكن أن يتقرب بها العبد المسلم لله تعالى.

قال تعالى في وَصْف عباد الرحمن: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) (السجدة:١٦: ١٧).

وعَنْ أبي أمامَةَ عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قَال: عَلَيْكُمْ بقيَام اللَّيْل فإنَّهُ دَأْبُ الصَّالحينَ قَبْلَكُمْ وَهُوَ قُرْبَةٌ إلَى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ للسَّيِّئَات وَمَنْهَاةٌ للإثْم. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٨١٤)

تلاوة القرآن الكريم

مَا أجمل أن يختمَ المسلمُ القرآنَ الكريم في أيام العشر من ذي الحجة المباركة ، وليتذكر عظيم ثواب تلاوة كلام الله، والعمل به. قال سبحانهُ: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ) (فاطر:٢٩: ٣٠).

وعن عَبْد الله بْن مَسْعُود قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ قَرأَ حَرْفًا منْ كتَاب الله فَلَهُ به حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بعَشْر أَمْثَالهَا لا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكنْ أَلفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَميمٌ حَرْفٌ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٣٢٧).

المواظبة على ذكر الله تعالى

ينبغي للمسلم أن يستغل مواسم الخيرات، ومنها العشر من ذي الحجة ، فيجعل لسانه دائماً رطباً بذكر الله تعالى ، ويكثر من قول: سبحان الله ، والحمد، ولا إله إلا الله والله أكبر، وغير ذلك من الأذكار المشروعة حتى يزداد رصيده من الحسنات. يقول الله تعالى: (وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ) (الحج: ٢٨)وقال سبحانه أيضا: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ في أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) (البقرة: ٢٠٣)، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَبَّاس رَضيَ الله عَنْهُمَا: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ في أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ): أَيَّامُ العَشْر، وَالأَيَّامُ المَعْدُودَاتُ: أَيَّامُ التَّشْريق. (صحيح البخاري. كتاب العيدين باب ١١).

قَالَ الإمَامُ البخاريُّ (رحمهُ الله): كَانَ عُمَرُ رَضيَ الله عَنْهُ، (يُكَبِّرُ في قُبَّته بمنًى فيَسْمَعُهُ أَهْلُ المَسْجد، فيُكَبِّرُونَ ويُكَبِّرُ أَهْلُ الأسْوَاق حَتَّى تَرْتَجَّ منًى تَكْبيرًا) وكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُكَبِّرُ بمنًى تلْكَ الأَيَّامَ، وَخَلْفَ الصَّلَوَات وَعَلَى فرَاشه وَفي فُسْطَاطه وَمَجْلسه، وَمَمْشَاهُ تلْكَ الأَيَّامَ جَميعًا. وكَانَتْ مَيْمُونَةُ: (تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْر) وَكُنَّ (النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بْن عُثْمَانَ، وَعُمَرَ بْن عَبْد العَزيز ليَالي التَّشْريق مَعَ الرِّجَال في المَسْجد) (صحيح البخاري .كتاب العيدين. باب ١٢).

فضل يوم عرفة

يوم عرفة: يوم إكمال الدين واتمام النعمة:

قال تعالى: (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا) (المائدة:٣)، قال ابنُ كثير رحمهُ الله: هَذه أكبرُ نعم الله، عَزَّ وجَل، عَلى هَذه الأمَّة حَيْثُ أكْمَل تَعالَى لَهُمْ دينَهُمْ، فلا يَحْتَاجُونَ إلَى دينٍ غَيْره، وَلا إلَى نبيٍّ غَيْرِ نَبيِّهمْ، صَلوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْه؛ وَلهَذَا جَعَلَهُ الله خَاتَمَ الأنْبيَاء، وَبَعَثَهُ إلَى الإنْس وَالجنِّ، فَلا حَلالَ إلا مَا أحَلَّهُ،

ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) (الأنعام: ١١٥)؛ أي: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلمّا أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى:(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. (تفسير ابن كثير جـ ٥ صـ ٤٦).

يوم عرفة: يوم مغفرة الذنوب:

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء. (مسلم: حديث ١٣٤٨).

قال ابن عبد البر(رحمه الله): هذا الحديث يدل على أنهم مغفور لهم، لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا من بعد التوبة والغفران. (التمهيد لابن عبد البر جـ١ صـ١٢٠).

يوم عرفة: يوم تقرير حقوق الأخوة الإسلامية:

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء (بعير النبي) فرحلت (وضع عليها الرحل) فأتى بطن الوادي (وادي عرفة) فخطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما. (مسلم حديث ١٢١٨).

يوم عرفة: يوم الدعاء

روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٨٣٧).

حثنا الله تعالى في كثير من آيات القرآن وكذلك نبيه صلى الله عليه وسلم، على الإكثار من الدعاء. قال سبحانه:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة: ١٨٦). وقال سبحانه: (أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل: ٦٢).

روى أبو داود عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا. (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث ١٣٢٣).

صوم يوم عرفة أفضل صيام النوافل

عن أبي قتادة أن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده. (مسلم حديث ١١٦٢)؛ انظر أخي الكريم، إلى هذا الفضل العظيم، كيف أن أصوم عرفة يمحو الله تعالى به ذنوب سنتين كاملتين، فالسعيد من اغتنم هذه الفرصة وصام يوم عرفة وحفظ فيه لسانه وسمعه وبصره وجميع جوارحه عما يغضب الله. وينبغي عليك أخي المسلم أن تدعو أهل بيتك الكبار والصغار وكذلك أقاربك وأصدقاءك لصوم يوم عرفة المبارك

صيغة التكبير:

(١) اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ.

(٢) اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ.

(٣) اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ، اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الْحَمْدُ. (مصنف ابن أبي شيبة جـ٢ صـ٧٣: صـ٧٤)

وقت التكبير المقيد

يبدأ وقت التكبير المقيد من بَعْد صلاة فجر يوم عرفة، وينتهي عقب صلاة عصر آخر أيام التشريق. (المغني لابن قدامة . جـ٣ . صـ٢٨٧: صـ٢٩١)

صيام التسع الأول من ذي الحجة

ينبغي للمسلم أن يحرص على صوم الأيام التسع الأول من ذي شهر الحجة، وخاصة يوم عرفة، لينال عظيم ثواب الله تعالى يوم القيامة؛ فعَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنْ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٢١٢٩).

صلة الأرحام

أوصانا الله تعالى بالأرحام خيراً، فقال سبحانه: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) (النساء: ٣٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى قَالَ فَذَاكِ لَكِ. (مسلم حديث ٢٥٥٤).

الصدقات ومساعدة المحتاجين

أخي المسلم: المال الذي بيدك إنما هو في الحقيقة مال الله، وأنت مُستخلفٌ فيه، فيجب عليك أن تنفقه في طاعته سبحانه، وانتهز مواسم الطاعات ،مثل أيام العشر من ذي الحجة، فأكثر من الصدقات في وجوه الخير المختلفة مثل كفالة الأيتام ورعاية الفقراء.

وليكن من المعلوم أن كثره الإنفاق في وجوه الخير هي سبيل رضا الله عنك ودخولك الجنة، وهذه النفقة هي سبيل البركة في إيمانك وأموالك وأولادك وصحتك يقول تعالى: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٦١)، وقال تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ: ٣٩).

فضل يوم النحر:

يوم النحر هو العاشر من ذي الحجة وهو يوم مبارك ، يغفل عنه الكثير من المسلمين.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطٍ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ. (حديث صحيح) (صحيح أبي داود للألباني حديث ١٥٥٢).

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي: يَوْمُ الْقَرِّ: هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَلِي يَوْمَ النَّحْرِ لِأَنَّ النَّاسَ يَقِرُّونَ فِيهِ بِمِنًى بَعْدَ أَنْ فَرَغُوا مِنْ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ وَالنَّحْرِ وَاسْتَرَاحُوا. (عون المعبود شرح سنن أبي داود جـ٥ صـ١٤٢).

فضل أيام التشريق

وعَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ. (مسلم ـ حديث ١١٤١)؛ قَالَ الإِمَامُ النووي(رحمهُ الله): أَيَّامُ التَّشْرِيقِ ثَلَاثَةٌ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَشْرِيقِ النَّاسِ لُحُومَ الْأَضَاحِي فِيهَا وَهُوَ تَقْدِيدُهَا وَنَشْرُهَا فِي الشَّمْسِ. وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الْإِكْثَارِ مِنَ الذِّكْرِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنَ التَّكْبِيرِ وَغَيْرِهِ. (مسلم بشرح النووي جـ٤ صـ٢٧٣).

قال الإمامُ ابنُ رجب الحنبلي(رحمهُ الله): أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم بالأكل والشرب ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر وبذلك تتم النعم وكلما أحدثوا شكرا على النعمة كان شكرهم نعمة أخرى إلى شكر آ خر ولا ينتهي الشكر أبداً. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي صـ٥٠٤).

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمْدُ لله رَبِّ العالمين. وصلى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آله، وأصحابه، والتَّابعينَ لهُمْ بإحْسانٍ إلى يَوْمِ الدِّينِ.

باب السيرة الحلقة 8

غزوة بدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلا نزال نذكر أحداث غزوة بدر الكبرى، وقد ذكرنا في المقال السابق نزول الملائكة وأنها قاتلت مع المسلمين!

إعداد **د/ سيد عبد العال**

فكم كان عدد الملائكة يومئذ؟

والجواب: قد ذكر الله هذا العدد في موضعين من كتابه:

الأول: في سورة الأنفال وهو قوله تعالى: "إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ " (الأنفال: ٩)، وهذا يعني: أن العدد كان ألفًا.

الثاني: في سورة آل عمران وهو قوله تعالى: "إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ" (آل عمران: ١٢٤، ١٢٥).

وهذا يعني: أن العدد انتهى إلى خمسة آلاف.

واخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْوَعْدِ: هَلْ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أَوْ يَوْمَ أُحُد؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أصحهما: أنَّه كان في يوم بدر وهو اختيار الطبري والبخاري في صحيحه...

قال ابن حجر: وعليه عمل المصنف وهو قول الأكثر. فتح الباري (٧/٢٨٥).

فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الآيَتين؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ التَّنْصِيصَ عَلَى الألْف لا يُنَافِي الثَّلاثَةَ الآلاف فَمَا فَوْقَهَا؛ لِقَوْلِه: "مُردفِينَ" بِمَعْنَى يَرْدُفُهم غيرُهم ويَتْبَعهم أُلوفٌ أُخَرُ مِثْلُهُمْ. ابن كثير (٢/١١٠).

ووجه آخر حاصله: أنهم لَمَّا اسْتَغَاثُوا، أَمَدَّهُمْ بِتَمَامِ ثَلاثَةِ آلافٍ، ثُمَّ أَمَدَّهُمْ بِتَمَامِ خَمْسَةِ آلافٍ لَمَّا صَبَرُوا وَاتَّقَوْا، فَكَانَ هَذَا التَّدْرِيجُ وَمُتَابَعَةُ الإِمْدَادِ أَحْسَنَ مَوْقِعًا، وَأَقْوَى لِنُفُوسِهِمْ، وَأَسَرَّ لَهَا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ بِه مَرَّةً وَاحِدَةً، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مُتَابَعَةِ الْوَحْيِ وَنُزُولِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. زاد المعاد (٣/١٥٩)

وقال ابن حجر: وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: أَمَدَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَلْفٍ ثُمَّ زَادَهُمْ فَصَارُوا ثَلاثَةَ آلافٍ ثُمَّ زَادَهُمْ فَصَارُوا خَمْسَةَ آلافٍ وَكَأَنَّهُ جمع بذلك بَيْنَ آيتي آلِ عِمْرَانَ وَالأَنْفَالِ. فتح الباري (٧/٢٨٥).

وقد اختلف العلماء هل وقع الإمداد بما يزيد عن الألف أم لا؟

واختار الطبري أن الآية ليس فيها دلالة على

وقوع الإمداد ولا على عدم وقوعه وإنما فيها الوعد بذلك فقط، ويجوز أن يكون الله أمدهم، ويجوز أن يكون لم يمدهم، ولم يصح خبر يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف، ولا نقول في ذلك إلا بخبر تقوم الحجة به.

غير أنَّ في القرآن دلالةً على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة، وذلك قوله: "فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"

فإن قيل: ما الفائدة من هذا العدد الكثير مع أن جبريل قادر على هزيمتهم ببعض جناحه؟

فالجواب: أن ذلك وَقَعَ لإرادَةِ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ للنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابِه وَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ مَدَدًا عَلَى عَادَةِ مَدَدِ الْجُيُوشِ رِعَايَةً لِصُورَةِ الأَسْبَابِ وَسُنَّتِهَا الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي عِبَادِه وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. وَاللّه أعلم. فتح الباري (٣١٣/٧).

قال الغزالي: ووهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في متاع الحياة الدنيا...

وصاح النبيَ صلى الله عليه وسلم وهو يرى كبرياء الكفر تمرَغ في التراب-: "شاهت الوجوه" فانهزمت قريش. فقه السيرة للغزالي (٢٣٥).

وعن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفًا من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها وقال: "شاهت الوجوه" فانهزمنا فأنزل الله عز وجل: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد (٩٩٩٨).

مقتل أبي جهل:

وبينما أبو جهل يحاول-عبثًا- أن يوقف سيل الهزيمة النازل بقومه، ويحيط به جنوده وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه؛ إذ يتسلل إليه فتيان ممن يغار على دينه وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم في ثبات إيماني لا نظير له، وها هو عبد الرحمن بن عوف يروي لنا هذا المشهد العجيب:

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ- حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، (فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا)، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا- فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، (فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا) فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، (فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ) فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: "أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟"، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟"، قَالاَ: لاَ، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: "كِلاَكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ"، وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الجَمُوحِ. صحيح البخاري (٣١٤١و٣٩٨٨).

ويأتي عبد الله بن مسعود- أحد رموز المستضعفين-: ليحرز هذه المنقبة: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ". فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، قَالَ: آأَنْتَ، أَبُو جَهْلٍ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ، او رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ. البخاري (٣٩٦٢)، ورواه بنحوه عبد الله بن مسعود. البخاري (٣٩٦١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ: مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ سَمِعْتُ الْقَوْمَ وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ- يعني الشجرة الملتفة التي لا يوصل إليها- وَهُمْ يَقُولُونَ: أَبُو الْحَكَمِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي فَصَمَدْتُ نَحْوَهُ، فَلَمَّا أَمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ؛ فَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً أَطَنَّتْ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ.... قَالَ وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكْرِمَةُ عَلَى عَاتِقِي فَطَرَحَ يَدِي فَتَعَلَّقَتْ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي، وَأَجْهَضَنِي الْقِتَالُ عَنْهُ؛ فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي؛ فَلَمَّا آذَتْنِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا قَدَمِي ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِهَا عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا... ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي جَهْلٍ- وَهُوَ عَقِيرٌ- مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ؛ فَضَرَبَهُ حَتَّى أَثْبَتَهُ، وَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ، وَقَاتَلَ مُعَوِّذٌ حَتَّى قُتِلَ؛ فَمَرَّ ابْنُ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِهِ أَنْ يُلْتَمَسَ

مَعَ القَتْلى قالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ مَسْعُود: فَأَدْرَكْتُهُ بآخِرِ رَمَقٍ فَعَرَفْتُهُ؛ فَوَضَعْتُ رِجْلَيَّ عَلى عُنُقه ثُمَّ قُلْتُ: هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّه؟ قالَ: وَبِمَ أَخْـزَاني؟ أَأَعْمَدُ منْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ أَخْـبِرْني لِمَنِ الدَّائرَةُ اليَوْمَ. قُلْتُ: للَّه ولِرَسُولِه.

- وَزَعَـمَ رِجَـالٌ منْ بَنِـي مَخْـزُومٍ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: قَالَ لي: لَقَد ارْتَقَيْتَ يَا رُوَيْعِيَّ الغَنَمِ مُرْتَقَى صَعْبًا- قَالَ: ثُمَّ احْتَزَزْتُ رَأْسَهُ فَجِئْتُ بِه رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: هَذَا رَأْسُ عَدُوِّ اللَّه أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "آللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ؟" وَكَانَتْ يَمِينَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا حَلَفَ بِهَا. قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ، ثُمَّ أَلْقَيْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْه، فَحَمِدَ اللَّهَ.

قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ إِسْحَاقَ: مَا أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ؟ قَالَ: يَقُولُ: هَلْ هُوَ إِلاَّ رَجُـلٌ قَتَلْتُمُوهُ. ابن هشام (٦٣٤/١)، ودلائل الأصبهاني (٤٢٢)، والبيهقي (٨٤/٣) عن ابن إسحاق به واسناده صحيح.

الجمع بين الروايات السابقة:

قال ابن حجر: فَهَذَا الَّذِي رَوَاهُ بن إِسْحَاقَ يَجْمَعُ بَـيْنَ الأَحَـادِيـثِ لكِنَّهُ يُخَالِفُ مَا فِي الصَّحِيحِ مِـنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْـنِ عَـوْفٍ أَنَّـهُ رَأَى مُعَاذًا وَمُعَوِّذًا شَدَّا عَلَيْه جَمِيعًا حَتَّى طرحاه وابن إِسْحَاق يَقُول: إن بن عَفْرَاءَ هُوَ مُعَوِّذٌ وَهُوَ بِتَشْدِيدِ الْـوَاوِ وَالَّـذِي فِي الصَّحِيحِ مُعَاذٌ وَهُمَا أَخَـوَانِ؟ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يكون معاذ بن عَفْرَاءَ شَدَّ عَلَيْه مَعَ مُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو كَمَا فِي الصَّحِيحِ وَضَرَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُعَوِّذٌ حَتَّى أَثْبَته ثُمَّ حَزَّ رَأْسَه ابن مَسْعُودٍ؛ فَتَجْتَمِعُ الأَقْوَالُ كُلُّهَا.

وَإِطْلاَقُ كَوْنِهِمَا قَتَلاهُ مَحْمُولٌ عَلى أَنَّهُمَا بَلَغَا بِهِ بِضَرْبِهِمَا إِيَّاهُ بِسَيْفَيْهِمَا مَنْزِلَة المَقْتُولِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِه إِلاَّ مِثْلُ حَرَكَةِ المَذْبُوحِ وَفِي تِلْكَ الْحَالَة لَقِيَهُ ابن مَسْعُودٍ؛ فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. الفتح (٢٩٦/٧).

ويتحصل من الروايات أن معاذ بن عمرو، ومعاذ بن عفراء ضرباه أول الأمـر، ثم انشغلا عنه بالقتال، ثم ضربه معوِّذ؛ فتركه وبه رمق، ثم أجهز عليه ابن مسعود...

وفيه فوائد:

منها: المُبَـادَرَة إِلـى الخَـيْرَات، وَالاشْتِيَاقِ إِلـى الفَضَائِلِ.

ومنها: الغَضَب لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أَنَّـهُ يَنْبَغِي أَنْ لا يُحْتَقَرَ أَحَـد ولو كان صغيرًا كَمَا جَرَى لِهَذَيْنِ الغُلاَمَيْنِ. شرح مسلم للنووي (٦٣/١٢).

ومنها: أهمية قتل رؤوس الكفر في الحرب، وأن الإمام يتولى متابعة ذلك بنفسه ويتثبَت من الأخبار، خاصة الهامة والمصيرية منها، وإن استطاع أن يقف بنفسه على ذلك فحسن، وإلا اكتفى بشهادة العدول الثقات.

ومنها: وفيه جواز التهكم على الكافر والسخرية منه ومن باطله.

ومنها: وفيه جواز ذبح الكافر في الحرب وحز عنقه ما دام به حياة، غيظًا للكافرين وشفاءً لصدور المؤمنين.

ومنها: وفيه جواز استحلاف الصادق الثقة عند الشهادة ونقل الأخبار، وأن هذا ليس تكذيبًا له.

وفي قصة ابنا عفراء ما يفيد: أنه على المسلم أن يختار لولده المرأة والأم الصالحة التي تربي أولادهـا على الغيرة على دينهم والانتصار لنبيهم صلى الله عليه وسلم

وهـذه المـرأة هي: عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن سواد بن غنم، وكان من شأن أبنائها: أن من أول من أسلم من الأنصار أحد أبنائها... وكان لأولادها شرف استشهاد اثنين يوم الفرقان...

وقال ابن حجر: "وعفراء هذه لها خصيصة لا توجد لغيرها، وهي أنها تزوجت بعد الحارث؛ البكير بن ياليل الليثي، فولدت له أربعة: إياسًا وعاقلًا وخـالـدًا وعـامـرًا، وكلهم شهدوا بـدرًا، وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحارث، فانتظم من هذا أنها امرأةٌ صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم " النبي القائد (١٠١/٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٤٠/٨).، وسيرة ابن كثير (١٧٧).

وهـذه صورة من صور البطولات النادرة التي برزت في غزوة بدر الكبرى فلنبق على موعد مع مواقف أخرى نبثها من أرض المعركة في العدد القادم بإذن الله تعالى..

والحمد الله لله رب العالمين.

الغاية العلية من بعثة خير البرية صلى الله عليه وسلم

إعداد الشيخ: عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فالأخلاق الحميدة جزء أساس من فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي جزء أساس كذلك من شرع الله وعبادته التي جاء بها الإسلام، وتعبدنا لله بهذه الأخلاق جزء من تعبدنا له بسائر العبادات، وفهمنا لهذه الأخلاق والتزامنا بها مرتبط بفهمنا والتزامنا لمعنى العبودية لله.

فإنسانية الإنسان بين مظهره ومخبره وصورته وأخلاقه. ليس الإنسان إنسانًا بجسمه وصورته، ولا بثيابه ومظهره، ولكن إنسانية الإنسان بخُلُقه وخَلْقِه معًا.

ليس الجمال بأثواب تزيننا
إن الجمال جمال العلم والأدب
وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم
إذا كانت الأخلاق غير حسان

فإذا انحرف الإنسان عن فطرته وساء خُلقه أصبح هذا المخلوق مؤذيًا، وأصبح الإيذاء طبعًا له، فهو شر يتصرف تصرف الوحوش الضارة غير النافعة، لذا امتن الله على البشرية بخير البرية صاحب الأخلاق العلية والصفات الزكية لينهض بالأمة بمزيد من الأخلاق السوية فحدد صلى الله عليه وسلم الغاية العظمى من بعثته والمنهاج المبين في دعوته فقال صلى

الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». (السلسلة الصحيحة: ٤٥).
وفي رواية: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». (صحيح الجامع ٢٣٤٩). ومما يدل على أن للأخلاق الحسنة مكانةً عظيمةً: أن المؤمنين يتفاضلون في الإيمان وأن أفضلهم فيه أحسنهم خلقًا. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقًا». (ابن ماجه ٢/١٤٢٣).

ومن ذلك أن المؤمنين يتفاضلون في الظفر بالقرب من النبي صلي الله عليه وسلم يوم القيامة، وأكثرهم ظفرًا بحبه والقرب منه صلى الله عليه وسلم الذين حسنت أخلاقهم.
قال صلى الله عليه وسلم: «إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقًا». (صحيح الجامع ٢٢٠١).
لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في مكارم الأخلاق ويحث عليها ويبين لهم فضلها. فأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسْن الخُلُق عنوان كمال الإيمان فقال صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا». (صحيح الترمذي (١١٦٢).
وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسْن الخُلُق يثقل الميزان يوم القيامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسْن الخُلُق». (صحيح الترمذي (٢٠٠٢).
وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسْن الخُلُق من موجبات الجنة، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحُسْن الخُلُق». (صحيح الترمذي (٢٠٠٤).

قال ابن القيم رحمه الله: جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحُسْن الخُلُق لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربه، وحُسْن الخُلُق يصلح ما بين العبد وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحُسْن الخُلُق يدعو الناس إلى محبته.
وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسْن الخُلُق يبلغ صاحبه درجة الصائم القائم، قال صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم». (صحيح أبي داود (٤٧٩٨). وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامئ بالهواجر». (صحيح الترغيب (٢٦٤٤). (درجة الصائم القائم): أي: قائم الليل في الطاعة، وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم؛ لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة. (عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/١٥٤).
وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسْن الخُلُق يرفع صاحبه أعلى درجات الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». (صحيح أبي داود ٤٨٠٠). ومعنى زعيم: ضامن.
قال الخطابي: البيت هاهنا القصر. يقال: هذا بيت فلان أي: قصره.
وأخبر صلى الله عليه وسلم أن حُسْن الخُلُق خير ما تجمل به الإنسان. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك بحُسْن الخُلُق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما». (صحيح الجامع (٤٠٤٨).
وأخبر صلى الله عليه وسلم أن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا. عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت في مجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم وسمرة وأبو أمامة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلامًا

أحسنهم خلقًا». (صحيح الترغيب (٢٦٥٣)).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن خيار الناس أحاسنهم أخلاقًا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بخياركم؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أطولكم أعمارًا، وأحسنكم أخلاقًا». (صحيح الترغيب (٢٦٥١)).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا. عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناسٌ فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خُلقًا». (صحيح الترغيب (٢٦٥٢)).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن خير ما أعطى الإنسان حُسن الخُلق. عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان؟ قال: «حُسن الخُلق». (البخاري في الأدب المفرد: ٢٩١).

ومما لا شك فيه أن حُسن الخُلق منَّةٌ من الله يمن به على من شاء من عباده قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ» (آل عمران: ١٥٩).

قال السعدي رحمه الله: «أي برحمة الله لك ولأصحابك من الله عليك فألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك، وترفقت لهم، وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك «وَلَوْ كُنتَ فَظًّا». أي سيء الخلق «غَلِيظَ الْقَلْبِ» أي: قاسيه «لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»: لأن هذا ينفيه ويبغضهم لمن قام بهذا الخلق السيء». فالأخلاق الحسنة تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخالص. والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدين وتبغضه إليهم، مع ما لصاحبه من الذم والعقاب الخالص. اهـ. (تفسير السعدي ١/٤٤٤).

ولحُسن الخُلق تأثير هائل في الدعوة إلى الله، وله عظيم الأثر في نفوس المدعوين. فإذا كان للشخص رصيد طيب من حُسن الخُلق كانت دعوته أنفع وأنجح وأولى بالقبول عند الناس، ومن ثم أثار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من هذا الرصيد في بداية بعثته، ألا وهو صدقه في الحديث صلى الله عليه وسلم فقال للمشركين: «أرأيتكم أو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟». قالوا: ما جربنا عليك كذبًا. (البخاري (٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨)).

لذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة بالحلال والحرام العالم الفقيه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». (صحيح الجامع: ٩٧).

فخيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم، أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفات فأولئك مع الأشرار، وإن كانوا يصلون ويصومون ويحجون، فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين، وصيامهم مجاراة، وحجهم رياء، ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرام الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الخاص داعية الصبر والكرم، والحج المبرور يثمر خلق الصبر، وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرم الأخلاق، وآية التقصير فيها سوؤها. (الأدب النبوي ١٦٠).

فحُسن الخُلق عنوان قبول الأعمال، وسوء الخلق يحبط الأعمال. قال صلى الله عليه وسلم: «وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل». (صحيح الجامع ١٧٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله. فإن فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة». (صحيح الترغيب (٢٥٦٠)).

معنى: (الأثوار) جمع ثور وهي القطعة من الأقط، ومعنى (الأقط) شيء يتخذ من مخيض اللبن الغنمي. فديننا الحنيف لا ينظم علاقة الإنسان بخالقه فقط، وإنما ينظم علاقة الإنسان بخالقه والناس أجمعين مؤمنين وكافرين، ويدعو الدين إلى أن يكون الإحسان هو أصل علاقة الإنسان بربه والناس أجمعين. قال الله تعالى: «لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧).

فما أحوجنا جميعًا أن نعيد النظر في أنفسنا أين نحن من مكارم الأخلاق؟ أين نحن من التأسي بنبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن.

قال الحسن البصري رحمه الله: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفًا وقد - والله- أسقطه كله ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل». (الزهد: ص ٢٧٦).

ما أحوجنا أن يرى أثر القرآن في مكارم أخلاقنا مع الصغير والكبير، والقريب والبعيد.

«إن نهوض الأمة وصلاح المجتمع إنما يتحقق بالتخلي عن رذائل الأخلاق، والتحلي بفضائلها، وإن علاج أمراضنا الاجتماعية يتطلب إصلاحًا أخلاقيًّا يكفل الانسجام والائتلاف، بين طبقات الأمة، ويوجه النفوس إلى الخير المفطور فيها، ويخلص القلوب من أدران الحق والأنانية. فجاهد نفسك أخي لاكتساب الأخلاق الفاضلة فإنه من يريد معالي الأمور لابد له من أن يدفع ثمنها المناسب، ويسعى في تحصيلها ومن ذلك استعراض ما في القرآن الكريم، فما وجدت فيه من أوامر وتوجيهات فخذ به، وما وجدت فيه من نواه فابتعد عنه لذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت للسائل: «ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإن خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن». (رواه مسلم).

والمعنى: فما حث القرآن الكريم على اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة إلا وتخلّق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقرأ سيرة خير البرية فقد بلغ ذروة المثالية في كل أحوال البشرية، وكن مع الناس كالنحل، الذي يقع على أحسن الزهور وأطهر الزروع فيجتني منها ما يفيده، وما يخدم به الناس، ومشكورًا غير مأمورًا ضع هذه الوصية النبوية بين نصب عينك لتسعد أن عملت بها.

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص التهنئة للزميل محمد شحاته محمد بمناسبة حصول نجله محمود محمد شحاته على بكالوريوس الطب البيطرى بدرجة امتياز، وأسرة المجلة تتمني له دوام التقدم والرقي.

صفة الحج

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد.

فان حج بيت الله الحرام ركن من أركان الاسلام العملية لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (ال عمران: ٩٧)

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الاسلام على خمس: شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا» اخرجه البخاري. ومسلم.

وهذه الفريضة الحج واجبة على المسلم المستطيع مرة واحدة في العمر.

وهي فريضة اعمالها كثيرة. وأنساكها متنوعة. وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يأخذوا صفة النسك واحكامه من فعله. فعن جابر بن عبد الله قال «رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر. يقول: لتأخذوا مناسككم. فاني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». (اخرجه مسلم (١٢٩٧).

ولذا فسوف نفرد هذه المقالة لصفة النسك باختصار أخذا من هذا الهدي النبوي. فأقول وبالله التوفيق:

انواع الانساك:

علي المسلم إذا اراد الحج أن ينوي أحد هذه الأنساك الثلاثة:

١- الإفراد: وهو ان تحرم بالحج وحده حيث تقول عند الميقات: "لبيك حجا".

٢- القران: وهو أن يحرم بالحج والعمرة معا عند الميقات. فيقول: "لبيك حجا وعمرة"

٣- التمتع. وهو أفضلها (وهو أن يحرم بالعمرة خلال أشهر الحج ثم يحل منها ثم يحرم بالحج في نفس العام). حيث يقول عند الميقات: "لبيك اللهم عمرة" فيؤدي عمرة. ثم يحل الإحرام. ويلبس ثيابه ويحل له كل شيء من الجماع وغيره من محظورات الاحرام.

وفي اليوم الثامن ينوى الحج. ويأتي بالأعمال التي سيأتي بيانها.

صفة التمتع:

أولا: صفة العمرة:

لأداء العمرة خطوات وهي مرتبة كما يلي:

ان يأتي مريد الحج الميقات المكاني لنسكه. وميقات أهل مصر الجحفة. ويحرمون الآن من: رابغ.

الاحرام وهو نية الدخول في العمرة - وهو ركن - ويستحب أن يتلفظ المعتمر بقول: (لبيك اللهم عمرة) عند إحرامه. والأفضل أن يكون التلفظ بذلك بعد استوائه على الدابة أو سيارة أو غيرهما. ويستحب له: الاغتسال. والتطيب. والتنظف قبل عقد نية الاحرام. ويستحب لمن أراد الاحرام أن يتعاهد شاربه وأظفاره وعانته وابطيه. فيأخذ ما تدعو الحاجة إلى أخذه: لئلا يحتاج إلى أخذ ذلك بعد الاحرام وهو محرم عليه.

والمراة اذا وصلت إلى الميقات وهي حائض أو نفساء تغتسل وتحرم مع الناس. وتفعل ما يفعله الحاج

غير الطواف بالبيت.

ويحرم الرجل في إزار ورداء ويستحب ان يكون أبيضين . وتسن التلبية بعد الإحرام وهي قول : (لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) . ويرفع بها الرجال أصواتهم . أما النساء فيخفض أصواتهن بها . ويتوقف المعتمر عن التلبية عند ابتداء الطواف.

وليس للإحرام ركعتان تسميان (ركعتي الاحرام) لكن لو صادف وقت حضور صلاة فريضة فأنه يحرم بعدها لفعله صلى الله عليه وسلم .

والمحظورات التي لا يجوز للمحرم أن يفعلها بعد تلبسه بالإحرام:

أ- الجماع . وهو الوطء في الفرج الذي يوجب الغسل فإن كان في العمرة أفسد العمرة وان كان في الحج قبل التحلل الأول يفسد الحج وعليه بدنة يفرق لحمها على فقراء مكة . ويجب عليه أن يتمه ويقضيه بعد ذلك . أما إذا جامع بعد التحلل الأول فإنه لا يبطل الحج وعليه ذبح شاة يوزعها على مساكين الحرم . والمرأة مثل الرجل إذا كانت مطاوعة .

المباشرة (أي يفعل مقدمات الجماع من اللمس والتقبيل) بشهوة . ليس عليه فدية وعمرته وحجه صحيح لكن عليه أن يستغفر الله ويتوب إليه.

ب - أن يتزوج أو يُزوج غيره . أو يخطب .

ج - أن يأخذ شيئا من شعره أو أظافره .

د - أن يتطيب في ثوبه أو بدنه .

ه- أن يغطي رأسه بشيء بملاصق . كالطاقية والغترة ونحوها .

و- أن يلبس الذكر مخيطا . وهو ما فصل على مقدار البدن أو العضو . كالثوب أو الفانلة والسراويل، والخفين، والجوربين ونحوه . وهذا المحظور خاص بالرجال .ويجوز له عقد الإزار وربطه بخيط ونحوه، لعدم الدليل المقتضي للمنع . وأما المرأة فلا تلبس النقاب ولا القفزين.

فمن فعل شيئا من هذه المحظورات جاهلا أو ناسيا أو مكرها فلا إثم عليه ولا فدية .

أما من فعلها متعمدا أو محتاجا لفعلها : فعليه الفدية:

وفدية هذه المحظورات إما ذبح شاه وتفريق لحمها على فقراء الحرم . أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع مما يطعم . او صيام ثلاثة ايام . يختار ما يشاء من الامور الثلاثة.

ي- الصيد : فيحرم علي المحرم ان يقتل صيدا بريا . كالغزال والأرنب والجربوع . ونحو ذلك . وجزاء الصيد إن كان للصيد مثل خير بين ذبح المثل وتوزيع لحمه على فقراء مكة او ينظر كم يساوي ويخرج ما يقابل قيمته طعاما لكل مسكين نصف صاع . واما ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما . وان لم يكن للصيد مثل خير بين ان ينظر كم قيمة الصيد المقتول ويحرج ما يقابله طعاما ويفرقه على المساكين لكل مسكين نصف صاع وبين ان يصوم عن اطعام كل مسكين يوما .

الطواف حول الكعبة سبعة اشواط - وهو ركن - . وتشترط الطهارة للطواف. ولا يجوز للمراة الحائض ان تطوف حتى تطهر من حيضها.

أما إذا انتقض وضوء المسلم وهو يطوف فانه يتوضأ ثم يعيد الطواف كله من جديد . ومن العلماء من قال يجزئه ان يبني على ما سبق .فإذا وصل إلى الكعبة قطع التلبية قبل ان يشرع في الطواف إن كان متمتعا او معتمرا. ويسن أن يضطبع المعتمر في طوافه كله . ومن سنة طواف القدوم وحده الاضطباع. هو أن يجعل وسط ردائه تحت كتفه الأيمن وطرفيه على كتفه الأيسر . ويبدأ كل شوط من امام الحجر الأسود وينتهي به . يجعل المعتمر عن يساره الكعبة أثناء طوافه . ويسن لمن يطوف أن يستلم الحجر الأسود (أي يلمسه بيده) ويقبله عند مروره به . فإن لم يستطع استلمه بيده وقبلها . فإن لم يستطع استلمه بشيء معه (كالعصا وما شابهها) وقبل ذلك الشيء . فإن لم يستطع أشار إليه بيده ولا يقبلها .ويسن لمن يطوف أن يكبر عند استلامه للحجر الأسود أو عند الاشارة إليه. ويسن لمن يطوف أن يستلم الركن اليماني بيده ولا يقبله . فإن لم يستطع استلامه بسبب الزحام لم يشر إليه . ويسن لمن يطوف أن يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) . ويسن أن يرمل المعتمر في الأشواط الثلاثة الأولى. والرمل هو مسارعة المشي مع تقارب الخطوات . ولا يشرع الرمل والاضطباع في غير هذا الطواف .

ومن شك في عدد أشواط الطواف التي طافها فإنه

يرجح الأقل . ثم يكمل . وليس هناك ذكر أو دعاء خاص بكل شوط من أشواط الطواف كما يعتقد البعض . بل يجوز أن يقرأ المسلم القرآن في طوافه . أو يقول ما شاء من الأدعية النبوية الصحيحة .

٤- الصلاة خلف مقام إبراهيم والشرب من ماء زمزم وهو سنة .

٥- السعي بين الصفا والمروة وهو ركن . فيخرج إلى الصفا من بابه فيرقاه أو يقف عنده. والرقي على الصفا أفضل إن تيسر. ويقرأ عند بدء الشوط الأول قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله). ويستحب أن يستقبل القبلة على الصفا، ويحمد الله ويكبره. ويقول: " لا إله إلا الله. والله أكبر. لا إله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد . يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده. أنجز وعده. ونصر عبده. وهزم الأحزاب وحده" . ثم يدعو بما تيسر. رافعا يديه. ويكرر هذا الذكر والدعاء (ثلاث مرات). ثم ينزل فيمشي إلى المروة حتى يصل إلى العلم الأول فيسرع الرجل في المشي إلى ان يصل إلى العلم الثاني. أما المرأة فلا يشرع لها الاسراع بين العلمين:ويقول ويفعل على المروة كما قال وفعل على الصفا . ما عدا قراءة الآية. ثم ينزل فيمشي في موضع مشيه. ويسرع في موضع الإسراع حتى يصل إلى الصفا. ويفعل ذلك سبع مرات. ذهابه شوط. ورجوعه شوط. ويستحب أن يكثر في سعيه من الذكر والدعاء بما تيسر.

٦- حلق الشعر أو تقصيره وهو واجب .

وبنهاية الحلق تكون انتهت أعمال العمرة:

ثانيا: أعمال الحاج في اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية):

- في وقت الضحى من هذا اليوم . يحرم المتمتع من المكان الذي هو نازل فيه حيث ينوي أداء مناسك الحج . و يقول : لبيك حجا . ويجب عليه أن يتجنب محظورات الاحرام . ويستحب له قبل نية الدخول في النسك ولبس الاحـرام أن يغتسل ويتنظف ويقص أظافره ويحف شاربه ويلبس الازار والرداء الأبيضين وأما المراة فتلبس ما شاءت غير القفازين والنقاب وهو البرقع . وبعد الاحرام ينطلق إلى منى ويستحب له أن يكثر من التلبية وهي : "لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك" ولا تقطعها حتى ترمي جمرة العقبة في اليوم العاشر من ذي الحجة . فإذا وصل منى صلي فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر كل صلاة في وقتها حيث تصلي الرباعية منها ركعتين قصرا بلا جمع. ولا فرق بين الحجاج من أهل مكة وغيرهم فالجميع يقصر الصلاة . ثم يبيت في منى هذه الليلة كما فعل النبي.

أعمال الحاج في اليوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة):

- إذا صلى الحاج الفجر بمنى وأشرقت الشمس انطلق إلى عرفة وهو يلبي ويكبر يرفع بذلك صوته. وينزل في نمرة إلى الزوال (وقت صلاة الظهر) إن أمكن . ثم يخطب الامام خطبة وبعدها يصلي الظهر والعصر جمع تقديم بركعتين لا يجهر فيهما بقراءة القرآن وتكون بأذان واقامتين. ولا تصلي بينهما ولا قبلهما شيئا من النوافل . ويصعد الحاج عرفة والوقوف بها ركن ويتأكد أنه داخل حدودها لأن وادي عرنة ليس من عرفة . وإن تيسر أن يقف عند الصخرات أسفل الجبل - الذي يسمى جبل الرحمة ويجعله بينه وبين القبلة فهو أفضل وعرفة كلها موقف . ويتفرغ للذكر والدعاء بخشوع وحضور قلب .ويكثر من قول (لا إله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير).والتلبية والصلاة على النبي . ولا يخرج من عرفة إلا بعد غروب الشمس فإنه يحرم ذلك لانه واجب علي من وقف نهارا . ومن انصرف من عرفة قبل الغروب فعليه فدية عند أكثر أهل العلم توزع على مساكين الحرم.

وبعد الغروب ينطلق إلى مزدلفة . وإذا وجد متسعا فأسرع قليلا لأنها السنة . وتستغفر الله وتذكره . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٩٩) . فإذا وصل إلى مزدلفة صلي المغرب والعشاء جمعا وقصرا . ولا يصلي بعدهما شيئا إلا أن يوتر . فإن خشى أن لا يصل إلى مزدلفة إلا بعد منتصف الليل بسبب الزحام أو غيره فإنه يجب عليك أن يصلي ولو في الطريق . ثم ينام حتى الفجر- لابد من صلاة الفجر لجميع الحجاج في مزدلفة- إلا الضعفاء والنساء فيجوز لهم الذهاب إلى منى بعد منتصف الليل .

أعمال الحاج في اليوم العاشر من ذي الحج وهو يوم النحر "العيد" :

بعد صلاة الفجر في مزدلفة يستقبل القبلة عقب الصلاة : فيذكر الله حتى يسفر الصبح جدا .

ثم ينطلق قبل طلوع الشمس إلى منى ملبيا .

ويلتقط سبع حصيات من أي مكان في طريقه من مزدلفة إلى منى ، أو من منى . ويستمر في التكبير والتلبية ولا يقطع التلبية الا مع بداية الرمي ، ثم يرمي جمرة العقبة - وهو واجب - بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الاخرى ويكبر مع كل حصاة.

ثم يذبح الهدي ويأكل منه ويوزع على الفقراء - وهو واجب على المتمتع والقارن فقط-.

ثم تحلق أو تقصر مع تعميم الراس كله والحلق أفضل مبتدئا باليمين . اما المراة فتقصر بقدر أنملة ، وهي طرف الأصبع .

وبذلك يتحلل التحلل الأول ، ويحل له جميع محظورات الإحرام الا النساء ، فلا يحل له الجماع إلا بعد طواف الإفاضة والسعي .

ثم بعد ذلك يذهب إلى مكة ويطوف طواف الافاضة - هو ركن - . ثم يصلي ركعتي الطواف ولقد طاف النبي عليه الصلاة والسلام في هذا اليوم متطيبا لابسا الملابس المعتادة . ثم يسعى المتمتع - هو ركن - . وبذلك يتحلل التحلل الكامل . وان قدم بعض هذه الامور على بعض فلا حرج . ويشرب من ماء زمزم . ويصلي الظهر في مكة إن أمكن . ثم عليه المبيت بمنى باقي ليالي التشريق . ويبدأ الحاج في هذا اليوم التكبير المقيد وهو أن يقول بعد الصلاة مباشرة : "الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله الا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد" . ومن السنة أن يكررها ويسن كثرة التكبير بعد الصلاة . وان تكبر الله في كل حال وزمان في الأسواق والطرقات وغيرها ، لفعل ابن عمر رضي الله عنهما .

أعمال الحاج في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة (أول أيام التشريق):

- ويبدأ في هذا اليوم رمي الجمرات الثلاث بعد الظهر أي بعد الزوال حيث يجمع احدى وعشرين حصاة من أي مكان من منى وحجم الحصى : يكون مثل حصى (الخذف) . فيتبدا برمي الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى التي تسمى "العقبة" . يرمي كل واحدة بسبع حصيات متعاقبات واحدة بعد الاخرى وتكبر مع كل حصاة ، والأفضل في رمي الجمرة الصغرى والوسطى أن ترميها وانت مستقبل القبلة والجمرة بين يديك ، و بعد رمي الجمرة الصغرى يتقدم امامها بعيدا عن الزحام فيستقبل القبلة ويدعو طويلا . ويجعلها عن يساره . اما بعد رمي الجمرة الوسطى يتقدم امامها بعيدا عن الزحام فيستقبل القبلة ويدعو طويلا . ويجعلها عن يمينه أثناء الدعاء لفعله صلى الله عليه وسلم . ويرمي جمرة العقبة مستقبلها جاعلا الكعبة عن يساره ومنى عن يمينه ثم يذهب ولا يقف للدعاء لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقف بعدها . ولا يجوز ان يوكل في الرمي اذا كان صحيحا بل يجب عليه ان يرمي بنفسه ما دام قادرا على الرمي . لكن لو فرض انه عاجز ولا يمكنه الرمي بنفسه لا في النهار ولا في الليل فهنا يجوز له التوكيل. ولا يشترط للموكل ان يلتقط الحصى بنفسه ويعطيها من وكله . ثم يبيت بمنى تلك الليلة

اعمال الحاج في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة (ثاني ايام التشريق)

في هذا اليوم وبعد الظهر يرمي الجمرات الثلاث ويفعل كما فعل في اليوم الحادي عشر فيرمي الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى ويقف للدعاء بعد الصغرى والوسطى . وبعد ان ينتهي من الرمي ان اراد ان يتعجل في السفر جاز له ذلك . فان نوى التعجل فيلزمه الانصراف من منى قبل غروب الشمس ويطوف طواف الوداع . ولا شيء عليه اذا تاخر بسبب الزحام

والتاخر للحاج افضل لقول الله تعالى ((فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى)) ولفعل رسول الله ونيل فضيلة الرمي

اعمال الحاج في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة (ثالث ايام التشريق)

بعد المبيت بمنى ليلة الثالث عشر في هذا اليوم يرمي الجمرات الثلاث بعد الزوال ويفعل كما فعل في اليومين السابقين

اذا عزم الحاج الرجوع الى بلده طاف طواف الوداع - وهو واجب- . اما الحائض والنفساء فليس عليهما طواف وداع الا اذا طهرتا قبل السفر فوجب عليهما

وبذلك تكون قد تمت مناسك الحج نسأل الله ان يبلغنا واياكم حج بيته الحرام وان يتقبل ممن يسر لهم الحج هذا العام ■

مستقبل الإسلام..

والرد المأمول على من أساء للرسول

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد: من الحقائق الواضحة التي يقر بها كل منصف عاقل تخلى عن العصبية الممقوتة، أن الإسلام منذ ظهوره في مكة أقام ثورة عاقلة وواعية وحكيمة بين أجلاف العرب من قريش، ووقف بقوة إلهية في مواجهة أئمة الضلال وصناديد الكفر ودعاة الشرك منهم ومن غيرهم، امتدت بعدها لتشمل جزيرة العرب وما حولها من الأقطار، ثم انتشرت في العالم أجمع حتى غيَّرت وجه العالم البشرى في كل ربوع الأرض فأرسى قواعد العدل بينهم وألقى ما كانت عليه الإنسانية من وثنية ضالة وإلحاد مدمر، وسلوكيات فاحشة.. إلى مسارب الأباطيل وأودية الضلال، ووضع المناهج الراشدة، والنظم الهادية إلى الحق والخير والكرامة الإنسانية. وغرس القواعد والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية في توازن محكم وحكيم لم يعرفه البشر من قبل. وأقر بذلك كل منصف عاقل من الشرق والغرب، ولم يجحده إلا كل ضال مضلّ من أرباب العصبية الممقوتة العمياء، والدعوات الهدامة، والرسالات المغشوشة المنقوصة، والأطروحات الماجنة العوجاء والأكاذيب الفلسفية التي تزعم نسبتها إلى السماء، وما هي إلا زبالة الأفكار وخواطر العقول القاصرة وحثالة الأوهام الناتجة عن الاقتيات من اللعب على عقول بعض البشر الذين لم يطلعوا على حقائق الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه ورسله.

إعداد

أ.د. عبد الوارث عثمان

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

بَيْد أن المطلع على تاريخ الإسلام الذي هو دين البشرية لا دين لهم غيره، والدارس لحياة أنبياء الله ورسله، والتأمل لحياتهم لأحوالهم مع أقوامهم على مر العصور، واختلاف البيئات، وتنوع المشارب في عاداتهم وتقاليدهم وما كانوا عليه في حياتهم الاجتماعية، يستخلص قاعدة اقتضت حكمة الله تعالى ضروريتها، وهي "حتمية الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل"، وهي حقيقة واقعة طالما هناك حياة دنيوية قائمة؛ فالدنيا دار اختبار وابتلاء، فلا يظن أصحاب الحق أنهم في مأمن من أصحاب الباطل ومكائدهم وافتراءاتهم وحربهم بكل وسيلة ممكنة لديهم مهما عرفوا من الحقائق الظاهرة والأدلة الدامغة والبراهين والحجج الساطعة؛ فالذي يحرك أهل الباطل أهواء تعميهم عن رؤية الحق وأضاليل تعيقهم من الوصول إلى الهداية والاقتناع.

وقد كان أجلاف العرب من قريش يرون صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته ونسبه ويثقون في أخلاقه وأدبه، وقد بعث إليهم بالآيات البينات والمعجزات الخارقات ومع هذا كله كذبوه، واتهموه بالسحر والكهانة، ووصفوه بالجنون، وتقولوا عليه بالأقاويل الكاذبة بما لا يليق به وبمكانته ومقامه، وتخرصوا عليه بالباطل تخرص الحاقد الذي أعماه حقده، ولم يمنعهم من حربهم عليه مانع بل طغوا وتجبروا وتكبروا وعاندوا، ولكن النبي الكريم وأصحابه الغرّ الميامين تحملوا فادح الأذى وعظيم البلاء.

وفي النهاية كانت الغلبة لله والرسول وللمؤمنين والمؤمنات وأهل الحق والتوحيد، ولم يكن لدى النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه أدنى شك في أن الله سينصر دينه دين الإسلام نصرًا عزيزًا وكبيرًا، فيه يحق الله الحق بكلماته، ويقطع دابر الكافرين، فلا غرابة إذن في القديم وفي عصرنا الحديث أن نجد الافتراء على الإسلام وعلى رسوله الكريم يجري على أسنة أقلام بعض المستشرقين والمنصرين في الغرب وعبدة الأبقار والهندوس في الهند وغيرهم، ولا جديد في أن يجتمع ذوو العداء القديم والحقد الدفين في أوروبا على حرق كتاب الله علانيةً أو رسم صور خيالية تسيء إلى سيد الخلق وأفضل الأولين والآخرين، وان كان المسلم يحقّ له ويجب عليه أن يغضب لذلك وتتملكه الغيرة على دين الله وكتابه ورسوله، وأن يتخذ موقفًا من ذلك على حسب قدرته واستطاعته.

إن هذه الحملة الظالم أهلها على مقام رسولنا الكريم في عصرنا الحديث هي خطة المستشرق الخبيث "زويمر" والذي قرر: "إن محاولة التشكيك في حقيقة من حقائق الإسلام مقضي عليها بالفشل.. ولا سبيل لنا إلا بحملة من السخرية على رموز الإسلام.. في محاولات مقررة لهز شخصياتهم.. وبالتالي: هز المبادئ التي يدعون إليها.. والتي تأخذ قيمتها من قيمة من يمثلها.. ولا بأس أن تكون الحملة الساخرة مركزة على رسول الإسلام لتكون الضربة موجعة".

وما دعا إليه هذا المستشرق الضال اللئيم لم يكن ابتداعًا ولا اختراعًا ولا تميزًا له بين الأشرار، بل استقاه من تاريخ أعداء رسالة الإسلام الخالدة على مر التاريخ. بيد أن هذه التصرفات الصبيانية من الحاقدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تمنع الناس من الدخول في دين الله أفواجًا، ذلك أن الإسلام دين الفطرة، بل إن الهجوم على الإسلام والرسول كان في كثير من الأحيان دافعًا إلى إقبال الناس على هذا الدين.

وقد أدت الدعاية الفاسدة للحاقدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بالجنون والسحر والكهانة وغيرها إلى ذيوع صيته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبلوغ دعوته إلى آفاق بعيدة ربما لم تكن لتبلغها إلا بشق الأنفس؛ فاجتذبت دعوته صلى الله عليه وسلم

الكثير من أصحاب الفطر السليمة في هذه الآفاق، وحركت الدعاية السيئة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفضول البشرى في نفوس الكثير من الناس فراحوا يبحثون عن آراء هذا الرجل، فبهر كثير من الناس بدعوته وبما احتوته من سمو ورفعة ونبل، ووجدوا فيها ضالتهم. ولله در القائل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت
أتاح لها لسان حسود.

فحقد الحاقدين أدى إلى وصول دعوته لكثير من الناس. وفي موقف النجاشي أقرب مثال على ذلك، فحينما هاجر اليه بعض المسلمين فأرسلت قريش عمرو بن العاص قبل إسلامه إلى النجاشي، فدخل عليه وراح يعمل لسانه في الإسلام وفي النبي عليه الصلاة والسلام وتسفيه آرائه، مما حدا بالنجاشي إلى أن يرسل في طلب هؤلاء المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه ويستمع إليهم. ويبهر الرجل بما سمع من جعفر بن أبي طالب، فيعلنها النجاشي صراحة: "إن هذا والذي جاء به عيسى قد خرج من مشكاة واحدة". فمن أين للنجاشي أن يسمع بهذا الدين لو لم تتحرك الأفئدة الحاقدة على الدين وعلى رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم وتسعى للنيل منهما عنده وعلى مسمع ومرأى من رهبانه وقساوسته وحاشيته.

إن الإسلام لن يتأثر بحقد الحاقدين ولن تنال من قدره هذه الأفعال والأقوال التي نصاب معها بالاشمئزاز من فاعليها، وإنما تزيدنا ثقة أن الإسلام ماض في طريقه، الذي أراده الله تعالى، لا تَنال منه هذه التفاهات وأمثالها، وإنما تثبت لنا مثل هذه الأمور أن الإسلام يصيب هؤلاء بالغصة ويقف في حلوقهم، وإلا فلماذا يهاجمونه إذا كانوا يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم شخص لا قيمة له، وإذا كان دينه فاسدًا كما يدّعون، فلماذا كل هذا الهجوم؟!

إن العقلاء لا يأبهون بأشخاص لا قيمة لهم، إنما نحن على يقين من الإسلام بما يحويه من عظمة ورفعة وتأثير في عصرنا الحديث في المجتمعات الغربية التي تشهد إقبالاً غير مسبوق من الغربيين على اعتناق الإسلام، ليثير حقد الحاقدين، ويشعل الضغينة في أصحاب النفوس الضعيفة التي يؤرقها ويقضّ مضجعها مكانة الإسلام ومكانة النبي وعظمتهما وكثرة المقبلين على اعتناقه في أوروبا وأمريكا وأستراليا والهند والصين وافريقيا.

وإن هذه الأفعال المستنكرة لتثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ليحتلان مكانة كبرى في آذان هؤلاء، وأن رسالته صلى الله عليه وسلم أصبحت تهدد عروشهم التي بنوا قوائمها من التضليل والغوايات والإباحية المطلقة للغرائز والشهوات.

المأمول من الأمة الإسلامية للرد على الإساءات الظالمة:

إن الرد المأمول من الأمة الإسلامية على هذه الإساءات الظالمة وتلك الحملة الغادرة الخبيثة النكراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يكون بشيئين:

الأول: العودة إلى كتاب الله تعالى "القرآن الكريم"، والعمل بما جاء فيه من العبادات والعقيدة والذكر والأحكام والحدود والمعاملات والأخلاق والتعليم والإعلام والثقافة والتربية والأسرة والمجتمع من دون تفريط.

الثاني: إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتطبيقها تطبيقًا عمليًا وواقعيًا وفعليًا في مجتمعاتنا الإسلامية، وترك كل ما يخالفها، والسير على نهجه صلى الله عليه وسلم في الأمور كلها؛ فحب النبي صلى الله عليه وسلم له أدلته وعلامته والتي من أهمها:

أولاً: الحرص على رؤيته وصحبته صلى الله عليه وسلم ويكون فقدهما أشد من فقد أي شيء في الدنيا.

ثانيًا: بذل النفس والمال دون النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: امتثال أوامره واجتناب نواهيه صلى

الله عليه وسلم.

رابعًا: نصر سنته والذَّبّ عن شريعته.

وقد تناول العلماء دلائل حب النبي صلى الله عليه وسلم الظاهرة على المرء المسلم من أخلاقه وسلوكه واتجاهاته ومواقفه وأفكاره ومبادئه. فعلى سبيل المثال يقول القاضي عياض: "ومن محبته نصرة سُنته والذَّبّ عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه". شرح النووي ١٦/٢.

ويقول الحافظ ابن حجر: "ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خُيِّر بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لو كانت ممكنة، فإن كان فقدها لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، وإلا فلا؛ وليس ذلك مقصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذَّبّ عن شريعته وقمع مخالفيها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". فتح الباري ٥٩/١.

ويقول العلامة العيني: "واعلم أن محبة الرسول عليه الصلاة والسلام إرادة طاعته وترك مخالفته وهي من واجبات الإسلام". عمدة القاري ١٤٤/١.

والغيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب عند شتمه وسبّه والتهكم عليه والتقليل من قدره تصريحًا أو تلميحًا، من الأدلة الواضحة على محبته صلى الله عليه وسلم، والسكوت على ذلك وتجاهله وعدم الاكتراث له من العلامات الظاهرة على انعدام حبّه صلى الله عليه وسلم.

وعد الله حق لا يتبدل:

وعلى أمة الإسلام ألا تحزن ولا تبتئس، فإن الإسلام ونبي الإسلام قد تعرضا على مر التاريخ لحملات مسعورة بغية النيل منهما، وفي كل مرة رد الله كيد الحاقدين إلى نحورهم، وخرج الإسلام قويًا شامخًا، ومات الحاقدون بغيظهم. فالإسلام ظل ينتشر ويكسب أتباعًا كل يوم منذ وجوده حتى اليوم، وسيتواصل هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا ما وعدنا الله سبحانه وتعالى به، فقد وعد الله وعدًا أكيدًا لا يتبدل بأنه سينصر دينه، وسيظل هذا الدين يضيء بنوره الدنيا مهما يفعل أعداؤه، يقول الله تعالى: « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (الصف: ٨). كما وعد الله تعالى أيضًا بأن ينصر دينه وينصره على كل دين حيث يقول تعالى: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» (التوبة ٣٣). فالله سبحانه وتعالى يخبرنا أن هذا الدين وُجِدَ ليبقى ويتواصل هديه ليقود البشرية إلى الرشاد والهدى، وإن اجتمعت عليه قوى الباطل والشرك والإلحاد، فهذا وعد الله، والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده.

ومن الحقائق العقلية أن الإسلام لو كان من عند غير الله لما صمد في وجه هذه الحملات المستمرة والمكائد التي لا تنتهي، فكم من إمبراطوريات تهاوت تحت وطأة الدسائس والمؤامرات والمكائد والعداوات السرية والعلنية التي تعرَّض لها الإسلام، ومع ذلك بقي الإسلام رغم اجتماع أهل الباطل عليه في كل عصر شامخًا عاليًا لا تنال منه هذه المكائد، ولن تنال منه مستقبلاً؛ لأن الله تعالى لا بد أن ينصر دينه كما وعد، وعلى الأمة الإسلامية مع ذلك ألا تقف مكتوفة الأيدي أمام هذه الحملات، فلا بد أن ننصر ديننا ونبينا بكل ما نملك، ولا بد أن يسعى كل مسلم قدر طاقته في هذا الاتجاه وبكل وسيلة مشروعة من بينها، ليس من بينها مبادلة البذاءة بالبذاءة، وليس منها الانحدار إلى مثل هذه الأعمال الخبيثة التي نهانا الإسلام عنها حتى مع المشركين الذين يعبدون الأصنام، ولنا في الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة؛ حيث قال بعد كل ما ناله من أذى المشركين: "اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون".

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الاستطاعة شرط لوجوب فريضة الحج

قال الله تعالى: "وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ" (آل عمران: ٩٧).

من فضل الحج

عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما من الذنوب والخطايا، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". (مسند أحمد).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة وهو على بعيره وهو يقول: يا أيها الناس! خذوا عني مناسككم؛ فإني لا أدري لعلّي لا أحج بعد عامي هذا".
(سنن النسائي).

إجابة دعاء الحجيج

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحُجَاج والعُمَار وفد الله؛ إنْ دعوه أجابهم، وإنْ استغفروه غفر لهم".
(رواه النسائي).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"من حجَّ البيت ولم يزرني فقد جفاني". أورده الصغاني في "الأحاديث الموضوعة"؛ وقال الألباني رحمه الله: موضوع. فإن زيارته صلى الله عليه وسلم من المستحبات، فكيف يكون تاركها مجافيًا للنبي صلى الله عليه وسلم ومعرضًا عنه.
(السلسلة الضعيفة للألباني).

إعداد : علاء خضر

الصحابة والعيد

عن جبير بن نفير رضي الله عنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: "تقبل الله منا ومنك" (فتح الباري).

من آداب الطواف حول الكعبة

وعن ابن عباس أيضًا رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الطواف حول البيت صلاة؛ إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير". (رواه الترمذي).

فضل العشرة الأولى من ذي الحجة

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما العمل في الأيام العشر أفضل من العمل في هذه". قالوا: ولا الجهاد؟ قال: "ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء" (رواه البخاري).

فضل صيام يوم عرفة

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة" (صحيح مسلم).

دعاء يوم عرفة

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له" (رواه الترمذي).

من المقاصد العظيمة في فريضة الحج

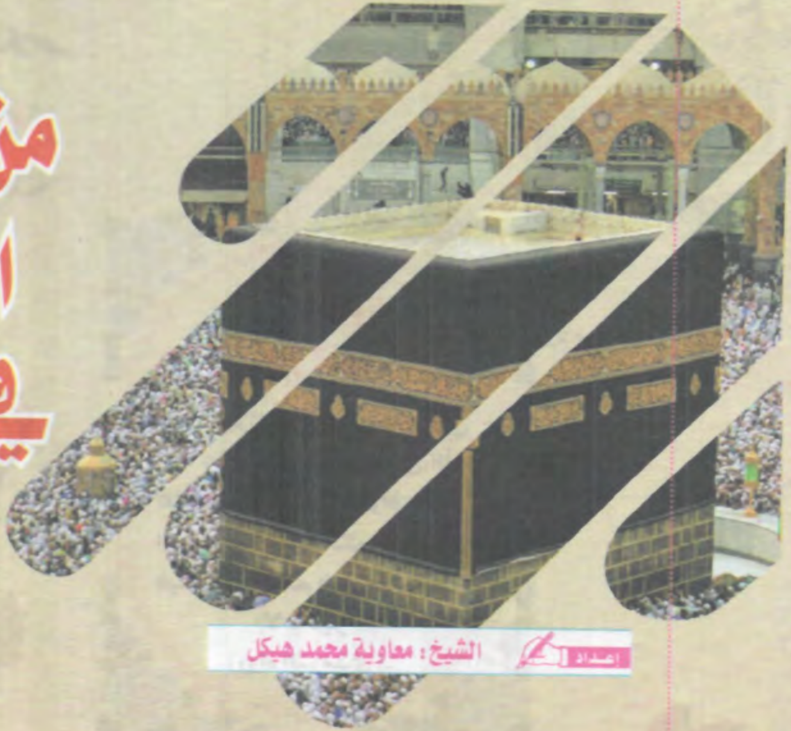

إعداد **الشيخ: معاوية محمد هيكل**

الحمد لله الذي جعل الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس وأمنًا، والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم القائل "خذوا عني مناسككم"، وبعد:

فمن المجمع عليه بين أهل الإسلام قاطبة قديمًا وحديثًا، سلفًا وخلفًا، أن الحج إلى بيت الله الحرام أحد أركان الإسلام الخمس، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وغيره. ومن المعروف أن الحج كسائر العبادات، له أعمال خاصة به، وكل عمل من هذه الأعمال له هيئة يجب أن تؤتى على وجهها الصحيح؛ كالإحرام من الميقات، والطواف، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ومن رمي الجمار والذبح، إلى غير ذلك من أعمال الحج المعروفة؛ فالواجب في هذه الأعمال أن تؤدى وفق هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

والحج عبادة عظيمة، شرعها الله على عباده المؤمنين؛ وذلك لما فيها من المنافع العظيمة، وما تهدف إليه من المقاصد الجليلة، ولما يترتب عليها من خير في الدنيا والآخرة.

فمن مقاصد تشريع الحج:

أولاً: تحقيق التوحيد الخالص لله تعالى:

فتحقيق التوحيد الخالص لله تعالى هو أعظم مقاصد الحج؛ لأنه يذكر الإنسان بوظيفته الحقيقية في هذه الحياة، وهي: توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالعبادة، وإنك لترى مظاهر هذا المقصد واضحةً جليَّةً في كل عمل من أعمال الحج منذ أن ينوي الحاج فيخلص النية لله في هذه العبادة، إلى أن ينتهي وهو يطوف بالبيت طواف الوداع، قال تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (الحج: ٢٦-٢٧)؛ وقال تعالى: «وأتموا الحج والعمرة لله» (البقرة ١٩٦).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه، وهو يصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم: "فَأَهَلَّ بالتَّوحيد: لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ" (رواه مسلم ١٢١٨).

فرفع الأصوات بعد الإحرام بالتلبية لله،

ونفي الشريك عنه وإعلان انفراده بالحمد والنعمة والملك: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك» يرددها المُحْرِمُون بين كل فترة وأخرى حتى يشرعوا في أداء المناسك.

فالحج من أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس؛ حيث ينصرف العباد إلى مقتضى الاسترقاق، وتظهر فيه معاني العبودية المحضة عندما تعظم شعائر الله، ولذلك لبى أنس رضي الله عنه: «لبيك بحجة حقًا، لبيك تعبدًا ورقًا» ولبّى غيره «لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، لبيك وسعديك والخير كله بيديك، والرغباء إليك والعمل». والتزم النبي صلى الله عليه وسلم قول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وكلها إعلان بتوحيد الله عز وجل وإدامة للطاعة والعبودية له، والاعتراف بفضله سبحانه، وهي في ذات الوقت مجانبة للمشركين وطرائقهم في التلبية كما سبق بيانه

إن الحاج وهو يلهج بالتلبية يستشعر قيمة العقيدة التي توحد قلوب العباد، ويرى جمال تجاوب الكون وتناسقه حين يعلن عبوديته لخالقه، فيتآلف جميعًا بأحيائه وجماداته. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من ملبٍّ يلبّي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا» (صحيح ابن ماجه ١٢٩٢).

فالتلبية يتجلى فيها الإخلاص بأسمى معانيه، فهي كلمات عظيمة لها دلالات كبيرة في تحقيق الإيمان والتوحيد لأنها تعني الاستجابة لله تعالى بالحج كما أمر الله سبحانه، كما تشتمل على معاني المحبة والإجلال والتعظيم لله عز وجل؛ لأن عبارة «لبيك» لا تصدر إلا لمن يحب، ولا يستحق ذلك كمالًا وتقديسًا وتعظيمًا إلا ربنا عز وجل، فالتلبية من اللب ولبّ الشيء خلاصته، والتلبية كذلك فيها إثبات لصفات الكمال لله تعالى والإقرار به مثل الكلام والسمع والقرب، كما تضمنت التلبية كل معاني التوحيد لله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وكذلك إبطال الشرك والإلحاد.

واعلان التلبية من المسلم هي تهيئة للنفس للاستجابة لدين الله عز وجل وشرعه، والاستعداد لقبول أوامر الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في أعمال الحج وغيرها، والكف عن المحظورات، وأن العبد مستعد لإصلاح شأنه ظاهرًا وباطنًا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأما الحج فشأن آخر لا يدركه إلا الحنفاء الذين ضربوا في المحبة بسهم، وشأنه أجل من أن تحيط به العبارة، وهو خاصة هذا الدين الحنيف، حتى قيل في قوله تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ): أي: حجاجًا.

وجعل الله بيته الحرام قياما للناس، فهو عمود العالم الذي عليه بناؤه، فلو ترك الناس كلهم الحج سنة، لخرت السماء على الأرض، هكذا قال ترجمان القرآن ابن عباس؛ فالبيت الحرام قيام العالم، فلا يزال قياما، ما زال هذا البيت محجوجًا. فالحج خاصة الحنيفية... فإنه مؤسس على التوحيد المحض والمحبة الخالصة" انتهى "مفتاح دار السعادة" (٢ / ٨٦٩).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: " (الحج) كله دعوة إلى توحيده، والاستقامة على دينه، والثبات على ما بعث به رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام. فأعظم أهدافه توجيه الناس إلى توحيد الله، والإخلاص له، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما بعثه الله به من الحق والهدى في الحج وغيره.

فالتلبية أول ما يأتي به الحاج والمعتمر، يقول: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) يعلن توحيده لله واخلاصه لله، وأن الله سبحانه لا شريك له؛ وهكذا في طوافه، يذكر الله ويعظمه ويعبده بالطواف وحده، ويسعى فيعبده بالسعي

وحده، دون كل ما سواه، وهكذا بالتحليق والتقصير، وهكذا بذبح الهدايا والضحايا، كل ذلك لله وحده، وهكذا بأذكاره التي يقولها في عرفات وفي مزدلفة وفي منى، كلها ذكر لله، وتوحيد له، ودعوة إلى الحق وإرشاد للعباد، وأن الواجب عليهم أن يعبدوا الله وحده، وأن يتكاتفوا في ذلك ويتعاونوا، وأن يتواصوا بذلك" انتهى "مجموع فتاوى ابن باز" (١٦ / ١٨٦ - ١٨٧).

ثانيا: تحقيق الانقياد للشرع المطهر:

ومن مقاصد الحج الكبرى تحقيق الانقياد للشرع المطهر واتباعه؛ فكثير من أفعال الحج غير مفهومة المعنى، كالطواف والسعي وأعدادهما، والرمي وعدده وتكرره، وتقبيل الحجر، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة ومنى، ومع ذلك تُفعل ؛ اتباعًا لأمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -، لا غير. وقد روى البخاري في صحيحه أنَّ عُمَرَ ابْنَ الخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّه عَنْهُ - قَالَ لِلرُّكْنِ (الحجر الأسود): "أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ"، فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ قَالَ : "فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ ! إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ المُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ "، ثُمَّ قَالَ : "شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ".

فالحج تربية مكثفة لتحقيق ذلك الاتباع ولو لم تُفهم حكمة التشريع. وذلك مقتضى العبودية والرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- نبيًا ورسولًا.

إقامة ذكر الله تعالى:

ففي كل نسك من أنساكه هناك ذكر لله تعالى؛ كما أرشدت هذه الآية الكريمة (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ). وقال الله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) البقرة (١٩٨ - ١٩٩).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "بل هو -أي الذكر- روح الحج، ولبه ومقصوده، كما قال النبي: (إنما جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار: لإقامة ذكر الله)." انتهى. "مدارج السالكين" (٤ / ٢٥٣٧).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: " فالذكر من جملة المنافع المذكورة في قوله تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ). وعطفه على المنافع من باب عطف الخاص على العام. وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله".

وشرع للناس كما جاء في كتاب الله ذكر الله عند الذبح، وشرع لهم ذكر الله عند رمي الجمار، فكل أنواع مناسك الحج ذكر لله، قولا وعملا. فالحج بأعماله وأقواله كله ذكر لله عز وجل " انتهى. "مجموع فتاوى ومقالات ابن باز" (١٦ / ١٨٥ - ١٨٦).

ثالثا: الشعور بالانتماء إلى أمة واحدة:

ومن مقاصد الحج وأهدافه وغاياته: الشعور بالانتماء: فيشعر المسلم في الحج بانتمائه إلى أمة عظيمة، تقطن شتى بقاع الأرض، وتتألف من مختلف الشعوب، قال تعالى: « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » (الحج:٢٧)، وهذا التجمع لا شك في أنه يذكي جذوة الشعور بالانتماء.

وكذلك ما يتجلى في الحج من الوحدة الإسلامية والمساواة بين المسلمين؛ فالجميع قد ظهر في زي واحد، الغني والفقير، والقوي والضعيف، في وحدة تامة في الشعائر والهدف والعمل والقول، لا إقليمية، ولا عنصرية، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة. قال تعالى : « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء ٩٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ يفتخرُونَ بآبائهمُ الذين ماتُوا، إنَّما هُمْ فحمُ جهنَّمَ، أوْ ليَكونُنَّ أهْونَ على اللهِ من الجُعَلِ الَّذي يُدَهْدِهُ الخُرَءَ بأنفِه، إنَّ الله أذْهبَ عنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجاهليَّةِ وفخْرَها بالآباءِ، إنَّما هوَ مُؤمنٌ تقيٌّ، أوْ فاجرٌ شقيٌّ، النَّاسُ كلُّهُمْ بَنو آدَمَ، وآدَمُ خُلِقَ من التُّرابِ" (صحيح الجامع ٥٤٨٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيُّها

النّاسُ: إنَّ ربَّكمْ واحدٌ، وإنَّ أباكمْ واحدٌ، ألا لا فَضلَ لعربيٍّ على عَجميٍّ، ولا لعَجميٍّ على عَربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسوَدَ، ولا لأسوَدَ على أحمرَ، إلّا بالتّقوى، إنَّ أكرَمَكُمْ عنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ، ألا هل بلَّغتُ؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ. قال: فلْيُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ ..." (صحيح الترغيب: ٢٩٦٤).

تحقيق عقيدة الولاء والبراء

ومن المقاصد العقدية في شعيرة الحج أنها ترسخ عقيدة الولاء بين المؤمنين والبراءة من المشركين، وكم هو محزن حقًا تفرّق المسلمين شيعًا وأحزابًا وتمزقهم إلى دول متعددة ومتناحرة، وقد غلبتْ عليهم النعرات الجاهلية المختلفة، وإن فريضة الحجّ أعظمُ علاج لهذا التفرّق والتشرذم، فالحج يجمع الشمل وينمّي الولاء والحبّ والنصرة بين المؤمنين، وإذا مصدر التلقي عند المسلمين واحد وهو الكتاب والسنة وقبلتُهم واحدة فهم في الحج يزدادون صلة واقترابًا؛ حيث يجمعهم لباس واحد ومكان واحد وزمان واحد ويؤدون جميعًا مناسك واحدة.

كما أن في الحج أنواعًا من صور الولاء للمؤمنين؛ حيث الحجُ مدرسة لتعليم السخاء والإنفاق وبذل المعروف أيًا كان، سواء أكان تعليم جاهل أو هداية تائه أو إطعام جائع أو إرواء غليل أو مساعدة ملهوف.

وفي المقابل ففي الحج ترسيخ لعقيدة البراء من المشركين ومخالفتهم، يقول ابن القيم في تهذيب السنن: "استقرت الشريعة على قصد مخالفة المشركين لا سيما في المناسك" ا.هـ. لقد لبّى النبيّ -صلى اللّه عليه وسلم- بالتوحيد خلافًا للمشركين في تلبيتهم الشركية، وأفاض من عرفات مخالفًا لقريش حيث كانوا يفيضون من طرف الحرم، كما أفاض من عرفات بعد غروب الشمس مخالفًا أهل الشرك الذين يدفعون قبل غروبها، ولما كان أهل الشرك يدفعون من المشعر الحرام -أي: مزدلفة- بعد طلوع الشمس خالفهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأبطل -صلى اللّه عليه وسلم- عوائد الجاهلية ورسومها كما في خطبته في حجة الوداع، حيث قال: "كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع"؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات مثل دعواهم: يا لفلان، ويا لفلان، ومثل أعيادهم وغير ذلك من أمورهم" ا.هـ.

وفي الحجّ تذكيرٌ بالآخرَة ووقوفِ العبادِ بينَ يَدَي اللهِ تعالى يومَ القيامَة:

فالمشاعرُ تجمع النّاسَ من مختَلف الأجناس في زيٍّ واحد؛ مكشوفي الرُّؤوس، يلبُّون دعوةَ الخالقِ عزَّ وجَلَّ، وهذا المشهَدُ يُشبهُ وقوفَهم بين يديه سبحانه يومَ القيامة في صعيد واحد حفاةً عراةً غُرْلًا خائفينَ وَجلينَ مُشْفقينَ؛ وذلك مما يبعَثُ في نَفْس الحاجِّ خَوْفَ اللهِ ومراقَبَتَه والإخلاصَ له في العَمَل

وفي الختام: فالحج طاعة يتقلب بها الحاج بين المشاعر، يقيم ويرحل ويمكث ويتنقل، ويخيم ويقلع، ليست له حرية ولا اختيار ولا حكم إلا الامتثال فهو طوع إشارة ورهين أمر، وهكذا كانت حياة إبراهيم وحياة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، نزول وارتحال، ومكث وانتقال، وعقد وحل، ونقض وإبرام ووصل وهجر، لا خضوع لعادة ولا إجابة لشهوة، ولا اندفاع للهوى، ولذلك قال النبي صلى اللّه عليه وسلم يوم عرفه: "كونوا على مشاعركم فإنّكم على إرث من إرث إبراهيمَ" (صحيح الترمذي: ٨٨٣).

ولا يملك المسلم في النهاية إلا أن يلهج بقلبه ولسانه «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واللّه من وراء القصد،

والحمد لله رب العالمين

حجاب المرأة المسلمة

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فما يزال حديثنا موصولاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم. وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن وأدلة السنة، ووصلت في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم إلى الأثر الثاني:

الأثر الثاني

٢- عن عائشة رضى الله عنها- في حادثة الإفك- قالت: ..... فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب؛ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ..... (البخاري ومسلم وغيرها).

الاستدلال من الأثر: فخمرت وجهي بجلبابي: أي غطيته. استدل بعض أهل العلم بالأثر على أن الوجه عورة، ولذا خمَرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وجهها. ولا خلاف في وجوب تغطية وجوه أمهات المؤمنين، لكن الأثر ليس قطعي الدلالة في وجوب النقاب على غير أمهات المؤمنين. لكن يُستدل به على فضيلة النقاب وفضل التأسي بأمهات المؤمنين.

٣- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: (فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ) (القصص: ٢٥). قال: ليست بسلفع من النساء خرّاجة ولاّجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كمَّ درعها على وجهها استحياءً (تفسير ابن كثير ٢٢٨/٦، وقال: هذا إسناد صحيح - السلفع من النساء: هي الجريئة على الرجال).

الاستدلال من الأثر: وقد استدل الشيخ التويجري بالأثر في جملة أدلته على وجوب النقاب.

قلت: والأثر يُستدل به على حياء المرأة وخجلها من التعامل مع الرجال، وقد نقلت من أقوال المفسرين في تفسير الآية. وليس في أقوالهم أنها كانت ترتدي شيئًا خاصًا -نقابًا- على وجهها، وإنما كانت تستر وجهها بثوبها أو بكمها أو بيديها. (انظر تفسير الطبري ٥٥٩/١٩، تفسير مجاهد ص ٢٥٦، تفسير يحيى بن سليمان ٥٨٧/٢، تفسير الجلالين ص٥١١، تفسير الماتريدي ١٦١/٨٥، تفسير السعدي ص٦١٤).

٤- عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: جاءت امرأة إلى سمرة بن جندب فذكرت أن زوجها لا يصل إليها، فسأل الرجل، فأنكر ذلك، وكتب فيه إلى معاوية قال: فكتب أن زوّجه امرأة من بيت المال لها حظ من جمال ودين، فإن زعمت أنه يصل إليها فاجمع بينهما، وإن زعمت أنه لا يصل إليها ففرّق بينهما. قال: نفعل، وأتى بهما عنده في الدار، قال: فلما

أصبح دخل الناس ودخلت قال: فجاء الرجل وعليه أثر صفرة ..... وجاءت المرأة متقنعة (السنن الكبرى للبيهقي ح ١٤٣٠٢ قال الألباني: سنده حسن، جلباب المرأة المسلمة ص ١٠٣).

الاستدلال من الأثر: وجاءت المرأة متقنعة. استدل به من قال بوجوب تغطية الوجه. قلت: القناع من الألفاظ المشتركة: هو ما يغطى به الرأس وعلى ذلك أكثر كتب اللغة، وقد يكون لتغطية الرأس والوجه، وقد يكون لتغطية الوجه فقط. فحمل الكلمة على معنى واحد من معانيها تحتاج إلى دليل. (انظر مقاييس اللغة ٣٣/٥، المحكم ٢٢٨/١، شمس العلوم ٥٦٣٩/٨، النهاية في غريب الحديث والأثر ١١٤/٤، لسان العرب ٣٠٠/٨ - ٣٠١).

ب- لها حظ من جمال ودين، فكيف يُوصَف جمالها إذا كانت منتقبة، وقد يجاب على ذلك بأنه لا يستلزم ذلك كشف وجهها، وإنما تراها النساء من قريبات الرجل الذي سيتزوجها. وقد استدل الشيخ الألباني بالأثر على جواز كشف المرأة لوجهها؛ لأنه قال: إن التقنع هو تغطية الرأس فقط. قلت: وأرى أن الأثر ليس قطعي الدلالة في كشف المرأة لوجهها أو تغطيته لورود احتمالات على معنى التقنع، كما بينت.

٥- عن عاصم الأحول قال: كنا ندخل على حفصة بنت سيرين (من التابعيات) وقد جعلت الجلباب هكذا، وتنقبت به، فنقول لها رحمك الله قال الله تعالى: (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ) (النور: ٦٠). هو الجلباب: فتقول لنا: أي شيء بعد ذلك؟ فنقول: (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ) (النور: ٦٠). فنقول: هو إثبات الجلباب (السنن الكبرى للبيهقي ح ١٣٥٣٤، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح، جلباب المرأة المسلمة ص ١١٠).

الاستدلال من الأثر: (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن): أي ليس عليهن إثم. (يضعن ثيابهن): هل هو خلع النقاب عن الوجه؟ قال الطبري: يضعن ثيابهن.: يعني جلابيبهن، وهو القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب، ونقل عن جماعة من الصحابة ومن بعدهم في معنى وضع الثياب: أن تضع الجلباب، أو تضع الخمار، أو تضع الرداء، أو تضع الملحفة (انظر تفسير الطبري ٢١٥/١٩ - ٢١٨، وكذلك ذكر قدامى المفسرين ذلك في معنى وضع الثياب (انظر تفسير القرطبي ٣٠٨/١٢- ٣٠٩، تفسير ابن كثير ٨٣/٦- ٨٤، تفسير مقاتل بن سليمان ٢٠٨/٣، تفسير ابن وهب ٨٩/٢، تفسير يحيى بن سلام ٤٦١/١، تفسير الزجاج ٥٣/٤، تفسير ابن أبي حاتم ٢٦٣٩/٨-٢٦٤٢، تفسير الماتريدي ٥٩٣/٧، تفسير الماوردي ١٢١/٤ - ١٢٢).

فلم أقف في هذه التفاسير أن وضع الثياب هو وضع النقاب، وإن ما جاء في هذه التفاسير عن معنى وضع الثياب يدور بين: وضع الجلباب، أو الرداء، أو القناع، أو الخمار، أو الملحفة. ومن استدل بالأثر أن وضع الثياب هو وضع النقاب، احتج بقول من قال إن وضع الثياب هو وضع القناع. وقد سبق أن بينت معنى القناع.

قلت: والآية ليست نصًا قطعيًا في وجوب تغطية الوجه، أو عدم وجوبه، إنما هي تتكلم عن القواعد من النساء (كبيرات السن). ويستنبط منها -بمفهوم المخالفة- نهي المرأة الشابة عن التبرج، مما يجعل الآية دليلاً من أدلة الحجاب على عمومه.

٦- عن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قد أتت بجلب لها (ما يُجلب للأسواق للبيع) فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها ... (سيرة ابن هشام

٢/٤٨).

الاستدلال من الأثر: الأثر منقطع من أعلى السند وأسفله، فقد روى ابن هشام الأثر عن عبد الله بن جعفر ولم يلتق به (فالسند معلق)، ومن ناحية أخرى فهو مرسل لأن ابن عون تابعي صغير توفي ١١٦هجرية لم يدرك الواقعة. (ضعفه الألباني في دفاع عن الحديث النبوي ص ٢٦- ٢٧، تخريج فقه السيرة للغزالي ص٢٤١).

وقد ساق بعض أهل العلم كالبوطي الأثر كدليل على النقاب (انظر فقه السيرة للسيوطي ص١٦٨-١٦٩). ثم إن غزوة بني قينقاع كانت قبل الأحزاب التي نزل فيها آيات الحجاب.

٧- قال العجلي: كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى يرى أحد هذا الوجه لا يُفتن به؟ قال: نعم. قالت: مَن؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فلأفتننه قال: قد أذنت لك، فأتته كالمستفتية فخلا معها، في ناحية من المسجد الحرام فأسفرت عن مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله. فقالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري ..... (الثقات للعجلي ت١٠٨٢).

الاستدلال من الأثر:

استدل به الشيخ التويجري على أن التابعين كانوا يرون أن سفور النساء (كشف الوجه) من المنكرات (انظر الصارم المشهور ص ١٧٧).

قلت: الأثر أورده العجلي في الثقات بدون إسناد، وبين ميلاد العجلي ووفاة عبيد بن أبي عمير، أكثر من مائة سنة. ثم كيف يأذنِ تابعي في عصر التابعين لزوجته أن تفتن رجلاً من أهل العلم؟!

٨- عن أنس رضي الله عنه قال: دخلت أَمَة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد كان يعرفها لبعض المهاجرين أو الأنصار وعليها جلباب متقنعة به، فسألها: أعتقت ؟ قالت: لا، قال: فما بال الجلباب؟ ضعيه عن رأسك، إنما الجلباب على الحرائر من نساء المؤمنين، فتلكأت، فقام إليها بالدرة فضرب رأسها حتى ألقته عن رأسها (مصنف بن أبي شيبة ٢٣١/٢، صححه الحافظ في الدراية ١٢٤/١، وقال الألباني: وهذا إسناد جيد، انظر جلباب المرأة المسلمة ص٩٩، وصححه في الإرواء ح ١٧٩٦). وله رواية أخرى -أخرجها عبد الرازق في المصنف- عن أنس رضي الله عنه: رأى عمر رضي الله عنه أمة لنا متقنعة فضربها، وقال: لا تشبهي بالحرائر (وقال ابن حجر: إسناده صحيح، وكذلك الألباني: انظر السابق).

الاستدلال من الأثر: متقنعة به: هل كانت تغطي وجهها، وهذا قال به من قال بوجوب النقاب. أم كانت تغطي رأسها وكاشفة عن وجهها، وبهذا عرفها عمر رضي الله عنه، وهذا ما ذهب إليه الألباني (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٩٩).

فما بال الجلباب؟ ضعيه عن رأسك. قد يكون قول عمر رضي الله عنه ضعيه عن رأسك، لصالح من ذهب إلى أن المرأة لم تكن تغطي وجهها، وإلا كان عمر قال لها: ضعيه عن وجهك.

٩- عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت: بلى: قال: هذه المرأة السوداء ...... (البخاري ومسلم وغيرهما).

الاستدلال من الأثر: هذه المرأة السوداء: استدل به من قال بجواز كشف الوجه كالشيخ الألباني يرحمه الله. لكن هذه المرأة اختلف فيها، هل هي ماشطة خديجة رضي الله عنها أم غيرها (انظر عمدة القاري ٢١٤/٢١ - ٢١٥، غوامض الأسماء لابن بشكوال ٢٩١/١، أسد الغابة ٣٢٢/٧، تهذيب الكمال ٣٦١/٣٥، تهذيب التهذيب ٤٧٠/١٢، الإصابة ٣٩٤/٨ -٣٩٦). ومتى رآها ابن عباس رضي الله عنهما. قبل نزول الحجاب أم بعده، وهل كانت من القواعد أم لا؟ هذه الاحتمالات لا تجعل الأثر مسلمًا به للاستدلال به على كشف الوجه.

والله أعلم.

أحكام تخص الحكم بما أنزل الله والرد على الدواعش

إعداد د. محمد عاطف التاجوري

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ورضي الله عنهم وعنا معهم بفضله وكرمه وهو أكرم الأكرمين... أما بعد:

فقد تكلمنا في العدد السابق عن سبب نزول قوله تعالى: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ »، وذكرنا حديث ابن عباس رضي الله عنهما وقوله: أنزلها الله في الطائفتين من اليهود، وكانت إحداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قتلته (العزيزة) من (الذليلة) فديته خمسون وسقًا، وكل قتيل قتلته (الذليلة) من (العزيزة) فديته مائة وسق، إلى أخر الحديث المذكور في العدد السابق.

سبب آخر لنزول هذه الآيات:

جاء في صحيح مسلم، حديث رقم (١٧٠٠) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محممًا مجلودًا، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك أنشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكذا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم (يعني تسويد الوجه بالفحم ثم الجلد)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»؛ فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» إلى قوله: «إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا » (المائدة: ٤١)، يقول: ائتوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وان أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » (المائدة: ٤٤)، «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » (المائدة: ٤٥)، «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ » (المائدة: ٤٧)، في الكفار كلها. (صحيح مسلم: حديث رقم ١٧٠٠).

وقد ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » (المائدة: ٤٤)، أن هذه الآيات نزلت من أجل كل هذه الأسباب ومن أجل الرد على هذه الوقائع، فقال: يقول تعالى ذكره: ومن كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه، وجعله حكمًا بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانيين المحصنين بالجلد والتحميم، وكتمانهم الرجم، وكقضائهم في بعض قتلاهم بدية كاملة، وفي بعض بنصف الدية، وفي الأشراف بالقصاص، وفي الأدنياء بالدية، وقد سوى الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة «فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » يقول هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله في كتابه، ولكن بدلوا وغيروا حكمه، وكتموا الحق الذي أنزله الله في كتابه «هُمُ الْكَافِرُونَ» يقول: هم الذين ستروا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينه، وغضوه عن الناس، وأظهروا لهم غيره، وقضوا به، لسحت أخذوه فهم عليه. (تفسير الطبري- ج١٠- ص ٣٤٥، ٣٤٦).

وهكذا نرى أن فهم الصحابة رضوان الله عليهم

جميعًا لهذه الآيات من سورة المائدة: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » (المائدة: ٤٤)، «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » (المائدة: ٤٥)، «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ » (المائدة: ٤٧)، أنها نزلت في الكفار وتحمل عليهم ولا تحمل على المسلمين، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث الأول الذي ذكرته في العدد الماضي يقول عن هذه الآيات: فيهما والله نزلت، وإياهما عنى الله عز وجل، أي في الطائفتين من اليهود (العزيزة) و(الذليلة).

وذكرت أيضًا في العدد السابق أحاديث أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما كقوله عن الآية الأولى: هي به كفر وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقوله: إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه (كأنه يشير إلى الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه)، إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة، كفر دون كفر، وكذلك قوله رضي الله عنهما: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق.

وذكرت قول البراء بن عازب رضي الله عنه في حديث مسلم السابق ذكره بعد أن ذكر الآيات الثلاث من سورة المائدة قال: في الكفار كلها.

ومن التابعين ذكرت في العدد السابق أيضًا قول عطاء بن أبي رباح وقد ذكر الآيات الثلاث ثم قال: كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم، وقول طاووس: (وذكر الآية) ثم قال: ليس بكفر ينقل عن الملة، وقول ابن مجلز عندما سأله نفر من الإباضية الخوارج عن هذه الآيات الثلاثة، ثم سألوه عن الأمراء: فيحكم هؤلاء بما أنزل الله؟

قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون وإليه يدعون فإن هم تركوا شيئًا منه عرفوا أنهم أصابوا ذنبًا، فقالوا له: لا والله، ولكنك تفرق (أي تجزع وتخاف) فقال لهم: أنتم أولى بهذا مني... ولكنها أنزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك.

ثم ذكرت آراء المفسرين لهذه الآيات في كتبهم فذكرت في العدد السابق قول الطبري في تفسيره وقول ابن كثير في تفسيره، والقرطبي في تفسيره، وكلها تؤيد آراء الصحابة والتابعين التي ذكرت في أن مجرد الحكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه أو مصلحة تعود إليه من الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة.

ذكر آراء المفسرين الآخرين:

الشيخ رشيد رضا:

قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار في تفسير الآيات: وإذا رجعنا إلى المأثور في تفسير الآيات، نراهم تلوا عن ابن عباس رضي الله عنهما أقوالاً، منها قوله: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق... ثم يذكر رأيه الذي خرج به من هذا المأثور، فيقول: والمراد أن عدم الحكم بما أنزل الله أو تركه إلى غيره وهو المراد لا يعد كفرًا بمعنى الخروج عن الدين، بل بمعنى أكبر المعاصي. (تفسير المنار- ج٦- ص ٣٣٤).

رأي الشيخ الشنقيطي:

قال بعد أن أتى بقول ابن كثير وقول القرطبي: قال مقيده عفا الله عنه: الظاهر المتبادر من سياق الآيات: أن آية «فَأولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» نازلة في المسلمين، لأنه قال قبلها مخاطبًا لمسلمي هذه الأمة: «فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً»، ثم قال: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ». فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلاً له، أو قاصدًا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها، أما من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنبًا قبيحًا وإنما حمله على ذلك الهوى فهو من سائر عصاه المسلمين. (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- للشيخ محمد الأمين الشنقيطي- ج٢- ص ٩٢).

رأي الشيخ السعدي في تفسيره:

وفي تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي قال عند تفسيره لهذه الآية: «وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ» من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه؛ لغرض من أغراضه الفاسدة، «فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفرًا ينقل عن الملة؟ وذلك إذا أعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر، وقد استحق من فعله العذاب الشديد. (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي- ج١- ص ٢٨٤).

والله من وراء القصد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من مقاصد الأضحية في الشريعة

إعداد / د. محمد عبد العزيز

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وأصلي وأسلم على خاتم المرسلين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد، وآله وصحبه الغر الميامين، وبعد:

فإن الأضحية عبادة من أجل العبادات التي يتقرب بها المسلمون إلى ربهم، وهي سنة مؤكدة فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتركها منذ هاجر إلى المدينة إلى أن توفاه الله عزوجل، وكان يحث عليها أهل اليسار من المسلمين وشدد النكير على تاركها، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا». (أخرجه أحمد (٨٢٥٦)، وابن ماجه (٣١٢٣)، الحاكم (٤/ ٢٣١- ٢٣٢)، وقال الألباني: حسن).

وكان يختار لهذه القربة أفضلها وأغلاها وأثمنها فيتقرب بها إلى الله، وقد نهى أمته أن تضحي بمعيبة، فعن عن البراء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يجوز من الضحايا أربع: العوراء البين عورها، والعرجاء البين عرجها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تنقي». أخرجه أبو داود (٢٨٠٢)، والنسائي (٤٣٦٩)، والترمذي (١٥٧١)، وابن ماجه (٣١٤٤).

ولا تصح الأضحية إلا بما بلغ السن إجماعًا فلا تجزئ إلا المسنة:

وهي من الغنم: ما بلغت عامًا.

ومن البقر: ما بلغت عامين.

ومن الإبل: ما بلغت خمسًا.

ويجزئ من الضأن (الخرفان): الجذعة، وهي ما بلغت ستة أشهر، لحديث جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تذبحوا إلا مُسنَّة، إلا أن يعسر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن» أخرجه مسلم (١٩٦٣).

وقد أجمع العلماء على هذا المعنى، قال النووي في المجموع (٨ /٣٩٤): «وأجمعت الأمة على أنه لا يجزئ من الإبل والبقر والمعز إلا الثني ولا من الضأن إلا الجذع».

وهي عبادة محدودة الطرفين فلا تصح قبل وقتها ولا تصح بعد وقتها، فيبدأ وقت الذبح بعد صلاة السيد وينتهي بغروب شمس آخر أيام التشريق لحديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأضحى بعد الصلاة، فقال: من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة، فإنه قبل الصلاة ولا نسك له. فقال أبو بردة بن نيار خال البراء: يا رسول الله، فإني نسكت شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب، وأحببت أن تكون شاتي

أول ما يذبح في بيتي، فذبحت شاتي وتغديت قبل أن آتي الصلاة. قال: شاتك شاة لحم. قال: يا رسول الله، فإن عندنا عناقًا لنا جذعة هي أحب إلي من شاتين، أفتجزي عني؟ قال: نعم، ولن تجزي عن أحد بعدك» أخرجه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١).

وفي قول أبي بردة: «هي أحب إلي من شاتين»: بيان أن التسمين لا يقوم مقام السن فهذا أمر توقيفي. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ولن تجزي عن أحد بعدك».

وشرائع الإسلام شرعت لمقاصد وحكم عظيمة تقوم على تحقيقها، قال ابن قيم الجوزية في أعلام الوقعين (٤ / ٣٣٧): «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله -صلى الله عليه وسلم- أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل ...».

مقاصد الأضحية

وهذه العبادة العظيمة الأضحية لها مقاصد عظيمة تتحقق بامتثالها، فمن أهم مقاصد الأضاحي:

١- امتثال أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتذكر الابتلاء العظيم الذي تعرض له نبي الله إبراهيم ونبي الله إسماعيل صلى الله عليهما وسلم ومع ذلك امتثلا أمر الله سبحانه وتعالى وصبرا على هذا الاختبار فامتن عليهما برفع البلاء، وامتن عليهما برفعة الدرجات وعلو الذكر، وشرع هذه العبادة العظيمة من جنس ما ابتلاهما به، قال الله عز وجل: « فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ » (الصافات: ١٠٢ - ١٠٧).

٢- تحقيق العبودية فإن الأضحية شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة، وعبادة من أهم العبادات التي يتقرب بها إلى الله، قال تعالى: « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » (الكوثر: ٢)، قال البغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن (٨ / ٥٥٩): «قال عكرمة، وعطاء، وقتادة: «فصل لربك»: صلاة العيد يوم النحر، «وانحر»: نسكك».

وكذلك كل ذبح في الإسلام يراد به التقرب فإنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، وصرفها لغير الله شرك في العبادة، قال تعالى: « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » (سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣).

والنسك: الذبيحة التي يتقرب بها في الحج والعمرة خاصة، قال القرطبي في التفسير (٧ / ١٥٢): «والنسك جمع: نسيكة، وهي الذبيحة، وكذلك قال مجاهد، والضحاك، وسعيد بن جبير، وغيرهم.

والمعنى: ذبحي في الحج والعمرة».

وقال الشنقيطي في أضواء البيان (١ / ٥٤٩): «قال بعض العلماء: المراد بالنسك هنا النحر، لأن الكفار كانوا يتقربون لأصنامهم بعبادة من أعظم العبادات: هي النحر، فأمر الله تعالى نبيه أن يقول: إن صلاته ونحره كلاهما خالص لله تعالى، ويدل لهذا قوله تعالى: « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » (الكوثر: ٢)».

والذي يتقرب بالذبح لغير الله مشرك ملعون فعن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل، فقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليك؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إلي شيئًا يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع.

قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟

قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا،

ولعن الله من غير منار الأرض» أخرجه مسلم (١٩٧٨).

ولا تقوم الصدقة وإن عظمت مقام الأضحية، ولا تغني عنها؛ فالأضحية سنة مؤكدة لم يتركها النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر.

٣- ومن مقاصد الأضحية تحقيق التقوى بامتثال أمر الله عز وجل، قال تعالى: « لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ » (الحج: ٣٧)

٤- ومن مقاصد الأضحية إقامة ذكر الله عز وجل وتوحيده والإخلاص له وحده في العبادة فلا يذكر غير اسمه على الذبائح، قال تعالى: « وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ » (الحج: ٣٦).

والبُدْن: جمع بدنة، وهي النسيكة من الإبل، والبقر، والمراد هنا: الإبل لأنها هي التي تنحر وهي قائمة.

و«صواف»: أي: قيامًا. أي: اذبحوا البدن لله عبادة مشروعة له وحده، واذكروا اسم الله عليها، ولا تذكروا اسم غير الله على الذبائح.

وعن جابر بن عبد الله، قال: «ذَبَحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم - يوم الذَّبْح - كبشين أقرنين أملحين موجوءين، فلما وجههما قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، اللهم منك ولك، عن محمد وأمته، بسم الله، والله أكبر» (أخرجه أبو داود (٢٧٩٥)، وابن ماجه (٣١٢١)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود رقم: (٢٤٩١)).

٥- ومن مقاصد الأضحية التوسعة على الأهل، والأقارب، والجيران، والفقراء، والمحتاجين، قال الله تعالى: «فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ» (الحج: ٣٦).

و«القانع»: السائل الذي يسأل حاجته فلا يستحيي.

و«والمعتر»: الذي يتعرض للناس ولا يسأل حاجته حياء.

وقال الله تعالى: « لِّيَشْهَدُوا مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ » (الحج: ٢٨). وعن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر: «من كان ذبح قبل الصلاة فليعد. فقام رجل، فقال: يا رسول الله: إن هذا يوم يشتهى فيه اللحم - وذكر جيرانه» رواه البخاري (٥٥٤٩)، ومسلم (٥١٩١).

ويتأكد ذلك في أيام الحاجة والعوز التي تنزل بالناس فيحتاجون من يواسيهم بالطعام والشراب والمال، فعن عائشة، رضي الله عنها وعن أبيها، تقول: «دف ناس من أهل البادية - حضرة الأضحى - في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادخروا لثلاث وتصدقوا بما بقي.

قالت: فلما كان بعد ذلك، قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله: لقد كان الناس ينتفعون من ضحاياهم ويجملون منها الودك، ويتخذون منها الأسقية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما ذاك؟ قالوا: يا رسول الله نهيت عن إمساك لحوم الضحايا بعد ثلاث. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت عليكم، فكلوا وتصدقوا وادخروا». أخرجه مسلم (١٩٧١)، وأبو داود واللفظ له (٢٨١٢)، والنسائي (٤٤٣١).

قال الخطابي في معالم السنن (٢ / ٢٣٢): «"دف ناس": معناه: أقبلوا من البادية.

والدف: سير سريع، يقارب فيه الخطو، يقال: دف الرجل دفيفًا، وهم دافة، أي: جماعة يدفون.

وإنما أراد قومًا أقحمتهم السَّنة، وأقدمتهم المجاعة.

يقول: إنما حرمت عليكم الادخار فوق ثلاث لتواسوهم، وتتصدقوا عليهم، فأما وقد جاء الله بالسعة، فادخروا ما بدا لكم».

٥- ومن مقاصد الأضحية إظهار شكر الله على النعم التي يسديها لعباده، قال تعالى: « فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (الحج: ٣٦). هذا ما يسره الله تعالى في هذه العجالة.

وإلى لقاء قريب.

تعلمتُ في الإصلاح بين الناس

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعدُ:

فإن الإصلاح بين الناس من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا؛ ذلك أن الاختلاف بين الناس أمر واقع ومن سجايا البشر، وذلك لاختلاف أخلاقهم وطبائعهم، ولتنافسهم في حظوظ الدنيا من المال والشرف وغيرهما، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩)، قَالَ ابنُ كثير رحمه الله: "أي: ولا يزال الخُلْفُ (الاختلاف) بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم". لكن هذا الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى التشاحن والتقاطع والخصومة. والكثير من الخلافات والمشكلات التي تقع بين المسلم وأخيه، والزوج وزوجته، والصاحب وصاحبه، ترجع إلى أمور وظنون يقذفها الشيطان في النفوس، وينساق الناس إليها، فتكون سبباً في وقوع العداوة والشقاق والخصومة بينهم، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله فيما رواه عنه صاحبه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِمَا تَحْقِرُونَ". مسند أحمد ح٨٨١٠ واسناده صحيح على شرط الشيخين. قالَ المباركفوري رحمه الله: "وَالْمَعْنَى: لَكِنَّ الشَّيْطَانَ غَيْرُ آيِسٍ مِنْ إِغْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَمْلِهِمْ عَلَى الْفِتَنِ، بَلْ لَهُ هُوَ مَطْمَعٌ فِي ذَلِكَ". تحفة الأحوذي (٦/٥٧).

خطورة الاختلاف والشقاق:

الخلافات تمزق الأسر والمجتمعات، وتوهن من همة أصحاب العزائم والقدرات. ويكفي ما قاله ابن مسعود رحمه الله تعالى في وصف الخلاف بقوله: "الخلاف شر". وحسبنا لبيان خطورة الخلاف والشحناء أنه جالبٌ لغضب الله سبحانه، ومانع من المغفرة، وماحق للبركة، فأما عن استجلابه لغضب الله. فعَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ سَلْمَانَ، وَصُهَيْبًا، وبلالاً كَانُوا قُعُودًا فِي أُنَاسٍ، فَمَرَّ بِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فَقَالُوا: مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا بَعْدُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا؟ قَالَ: فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، فَلَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَيْ إِخْوَتَنَا لَعَلَّكُمْ غَضِبْتُمْ، فَقَالُوا: لَا يَا أَبَا بَكْرٍ، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ". مسند أحمد ح٢٠٦٤٠. وإسناده صحيح.

فلننظر إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر سيد الأمة بعد نبيها: "يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، فَلَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ". فالله لا يجامل أحدًا مهما علا قدره وارتفع كعبه في حق عباده. ولذلك سارع أبو بكر رضي الله عنه في إرضائهم والاعتذار لهم.

وأما عن أن الاختلاف والخصام مانع للمغفرة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيُغْفَرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا". مسند أحمد ح٩٠٥٣. واسناده صحيح على شرط مسلم.

قال النووي رحمه الله: "أنظروا هذين": أي: أخروهما حتى يرجعا إلى الصلح والمودة".

وأما عن محق التشاحن والتخاصم للبركة فيظهر من هذا الحديث: قال أَنَسُ بْنُ مَالِك رضي الله عنه: أَخْبَرَنِي عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم خَرَجَ يُخْبِرُ بلَيْلَة القَدْر، فَتَلاَحَى رَجُلاَن من المُسْلمينَ فقَالَ: «إنِّي خَرَجْتُ لأُخْبرَكُمْ بلَيْلَة القَدْر، وَإنَّهُ تَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفعَتْ...». صحيح البخاري ح٤٩.

قال ابن بطال رحمه الله: وقوله: (فرُفعت) يعني: رُفع علمها عنه بسبب تلاحي الرجلين، فحرموا به بركة ليلة القدر، والتلاحي: التجادل والتخاصم... وهذا يدل أن الملاحاة والخلاف يصرف فضائل كثير من الدين، ويحرم أجرًا عظيمًا؛ لأن الله تعالى لم يرد التفرق من عباده، وانما أراد الاعتصام بحبله، وجعل الرحمة مقرونة بالاعتصام بالجماعة. شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٥٧/٤).

والمسلم ليس حرًا ولا مخيرًا في هجر أخيه ولا قطيعته، فإن فعل ذلك فهو واقع في الحرام، مقيم عليه حتى يتوب ويرجع ويصطلح وينزع. عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: "لاَ يَحلُّ لرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقيَان: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذي يَبْدَأُ بالسَّلاَم". صحيح البخاري ح٦٠٧٧.

وعَنْ أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمعَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفْك دَمه". مسند أحمد ح١٧٩٣٥، واسناده صحيح.

وينبغي أن يُفرِّق بين الهجر لحق الله عز وجل، وبين الهجر لحق النفس، فالأول - بشروطه وضوابطه وهي أن يكون زمن الهجر مقترنًا زيادة ونقصًا بالإصلاح، فإن كانت الزيادة مفسدة فيعدل عنها، وان كانت مصلحة فيُذهب إليها - وإذا رُجي تأثيره وتحقيقه للمصلحة فهو مأمور به، والثاني الذي هو خصومة لدنيا ولحق النفس منهي عنه لأن المؤمنين إخوة، وإن كان لا بد منه فلا يزيد عن ثلاثة أيام. وقد قال أَنَسُ بْنُ مَالِك رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عبَادَ اللَّه إخْوَانًا، وَلاَ يَحلُّ لمُسْلمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَة أَيَّامٍ». صحيح البخاري ح ٦٠٦٥.

الاجتهاد في الإصلاح بين الناس:

قلنا إن الإصلاح بين الناس من أعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى. وحسبنا فيه قول ربنا جل وعلا: " لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ، أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" (النساء: ١١٤).

قال الإمام البغوي رحمه الله: إلاَّ مَنْ أَمَرَ بصَدَقَةٍ أي: حَثَّ عَلَيْهَا أَوْ مَعْرُوفٍ أَيْ: بِطَاعَةِ اللَّهِ وَمَا يُعَرِّفُهُ الشَّرْعُ وَأَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا مَعْرُوفٌ، لأَنَّ الْعُقُولَ تَعْرِفُهَا، أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ...قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَيْ: هَذِهِ الأَشْيَاءَ الَّتِي ذَكَرَهَا، ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ، أَيْ: طَلَبَ رِضَاهُ، فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ، فِي الآخِرَةِ، أَجْراً عَظِيماً". تفسير البغوي (٧٠٠/١).

كما أن الإصلاح بين الناس أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات، لما فيه من نشر للحب والمودة بين الناس، مما يؤدي إلى سعادة الأفراد، وقيام البيوت والأسر، وقوة وترابط المجتمع، ولا شك أن الصلح خير من الشقاق، والصلة أفضل من القطيعة، والحب أولى من الكراهية، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ». سنن الترمذي ح ٢٥٠٩. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ الحَالِقَةُ: لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ. انتهى. واصلاح ذات

البين: إزالة أسباب الخصام والنزاع، بالتسامح والعفو، أو بالتراضي.

قال شرف الحق العظيم آبادي: (وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ) أَيْ هِيَ الْخَصْلَةُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْلِقَ الدِّينَ وَتَسْتَأْصِلَهُ كَمَا يَسْتَأْصِلُ الْمُوسَى الشَّعْرَ، وَفِي الْحَدِيثِ حَثٌّ وَتَرْغِيبٌ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَاجْتِنَابٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِيهَا لِأَنَّ الْإِصْلَاحَ سَبَبٌ لِلِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ ثُلْمَةٌ فِي الدِّينِ فَمَنْ تَعَاطَى إِصْلَاحَهَا وَرَفَعَ فَسَادَهَا نَالَ دَرَجَةً فَوْقَ مَا يَنَالُهُ الصَّائِمُ الْقَائِمُ الْمُشْتَغِلُ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِهِ. عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/١٧٨).

ولذلك أعطى الشرع للمصلح بين الناس بعض الأدوات التي تسهل إتمام الصلح وتحقيق جمع المتخاصمين على كلمة الحق، فأعطى المصلح رخصة الحيلة والتحايل ورفع عنه وصف الكذب في ذلك. فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». صحيح البخاري ح٢٦٩٢.

النبي صلى الله عليه وسلم قدوة في الصلح بين المسلمين:

وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم للصلح بين بني عمرو بن عوف من أهل المدينة النبوية لشقاق وقع بينهم، (وبين أبو داود رحمه الله تعالى في (سننه) بسند صحيح، قال: (كَانَ قِتَالٌ بَيْنَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَتَاهُم لِيُصلِحَ بَيْنَهُم بَعْدَ الظُّهْرِ، فَقَالَ لِبِلَالٍ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، إن حضرت صَلَاةَ الْعَصْرِ وَلَم آتك فمر أبا بكر فليصل بالنَّاس، فلمَّا حضرت صَلَاةَ الْعَصْرِ أذن بلال ثمَّ أقام ثمَّ أمر أبا بكر فتقدم). عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/٢٠٩).

وقد بلغ الشقاق بينهم إلى أن تراموا بالحجارة كما ذكر ذلك البخاري رحمه الله عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ». صحيح البخاري ح٢٦٩٣.

قال ابن حجر رحمه الله: "وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلُ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَجَمْعُ كَلِمَةِ الْقَبِيلَةِ وَحَسْمُ مَادَّةِ الْقَطِيعَةِ وَتَوَجُّهُ الْإِمَامِ بِنَفْسِهِ إِلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ لِذَلِكَ وَتَقْدِيمُ مِثْلِ ذَلِكَ عَلَى مَصْلَحَةِ الْإِمَامَةِ بِنَفْسِهِ". فتح الباري لابن حجر (٢/١٦٩).

وكذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم بالإصلاح بين زوجين بينهما أولاد وقد دب الشقاق بينهما، ولكن للأسف لم يتم الصلح. وهذا يعني أن التوفيق في الصلح بيد الله عز وجل لا بيد الرسول صلى الله عليه وسلم. ويفيد ذلك أيضًا أنه قد يبذل المصلحون قصارى جهدهم ولا يتم الصلح، ولا يطعن ذلك لا على المصلح ولا على المصلوحين، فكلنا يشاء والله تعالى يفعل ما يشاء.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ مُغِيثًا كَانَ عَبْدًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْفَعْ لِي إِلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللَّهَ، فَإِنَّهُ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْمُرُنِي بِذَلِكَ، قَالَ: «لَا، إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ» فَكَانَ دُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدِّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ: «أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَبُغْضِهَا إِيَّاهُ». سنن أبي داود ح ٢٢٣١ وصححه الألباني.

وكانت بريرة زوجة لمغيث، وكانت جارية، وكان هو عبدًا وزوجًا لها، فلما اشترت وأعتقت نفسها صارت حرة وبقي هو عبدًا، ففارقته بعدما خُيِّرت في فراقه أو البقاء معه، قال ابن عبَّاس: لما خُيِّرَتْ بريرةُ رأيتُ زَوْجَها يَتْبَعُها في سككِ المدينةِ ودُموعُه تسيل على لحيته فكلم النَّاسَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ الخ... وكان مُغيث عبدًا لآل المغيرة من بني مخزوم. (فخيَّرها) النبي صلى الله عليه وسلم أي بين اختيار الزوج واختيار الفسخ (وأمرها أن تعتد) أي بثلاث حيض، كما بحديث عائشة رضي الله عنها.

وللحديث بقية إن شاء الله.

قصة صفة الاستلقاء المفتراة على الله سبحانه وتعالى عما يصفون

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد: الشيخ علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية- كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢) هذه القصة المنكرة جاء في متنها صفة مفتراة على الله سبحانه وتعالى: بأنه لما قضى خلقه استلقى، ووضع إحدى رجليه على الأخرى.

٣) وهذه الفرية نسجها الوضاعون والمجهولون في قصة نُسبت إلى الصحابيين الجليلين: الصحابي الجليل قتادة بن النعمان الأنصاري، وأخيه لأمه الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري، وكما سنبين من المتن أن قتادة بن النعمان أخبر أن أبا سعيد قد اشتكى فانطلق إليه ليعوده فدخل على أبي سعيد فوجده مستلقيًا واضعًا رجله اليمنى على اليسرى، فسلم وجلس فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد الخدري فقرصها قرصة شديدة، فقال أبو سعيد: سبحان الله يا ابن أمي أوجعتني!. قال: ذاك أردتُ. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل لما قضى خلقه استلقى

ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى، ثم قال: «لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هذا»، فقال أبو سعيد: «لا جرم والله لا أفعله أبدًا».

٤) انظر إلى هذا الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم هذا الكذب الذي يجعل لله سبحانه صفة مفتراة عليه هي صفة «الاستلقاء» وهي عقيدة يهودية من عقائد اليهود، هذه العقيدة -كما سنبين- بأن الله بعد أن خلق الخلق استلقى ليستريح وهذا من العقائد التي لعنهم الله عليها كما في قوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ».

٥) وصفة الاستلقاء عقيدة يهودية فقد أخرج الإمام الحافظ ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤١١/٨) ح (٢٦٠١١) قال حدثنا يزيد بن هارون، عن العوام، عن الحكم قال: سألت أبا مجلز عن الرجل يجلس ويضع إحدى رجليه على الأخرى فقال: لا بأس به، إنما هو شيء كرهته اليهود قالوا: إنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى يوم السبت فجلس تلك الجلسة. اهـ. جلسة الاستلقاء للاستراحة.

٦) وهذه عقيدة اليهود في كتابهم المسمى «الكتاب المقدس» في (التكوين/١) (الإصحاح/٢): «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل: فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله». اهـ.

«سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا» (الإسراء: ٤٣)، فعقيدتهم هذه لا تقديس فيها؛ لأنها وصف لله سبحانه بالنقص.

٧) لذلك قال الحكمي في «المعارج» (١٤٤/١): «تعالى الله في كمال قدرته عن التعب والإعياء»؛ فقال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ» (ق: ٣٨). «وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ» قال الإمام القرطبي في «تفسيره»: «اللغوب التعب والإعياء» أي: «وما مسنا من تعب وإعياء حتى نستريح»؛ فقوله تعالى: «وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ» صفة سلبية تعطي الكمال لله في الصفة الثبوتية وهي صفة «القدرة».

٨) ولذلك قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» لهذه الآية: «قال قتادة: قالت اليهود -عليهم لعائن الله-: خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه». «وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ» أي من إعياء ولا تعب ولا نصب. اهـ.

كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (الأحقاف: ٣٣).

صفة ثبوتية في الآية وهي (القدرة) من اسم الله (القدير) وصفة سلبية في قوله تعالى: «وَلَمْ يَعْيَ» لإعطاء الله الكمال في الصفة الثبوتية وهي القدرة؛ فتعالى الله في كمال قدرته عن الإعياء والتعب حتى يستلقي واضعًا إحدى رجليه على الأخرى ليستريح.

٩) هذا الاستقراء لبيان ما نبه عليه الإمام ابن القيم في كتابه: «المنار المنيف» الفصل (٦) قال: «ونحن ننبه على أمور كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا»، ثم قال في التنبيه (١٣): «يعرف كون الحديث موضوعًا بمخالفة الحديث صريح القرآن».

والخبر الذي جاءت به القصة يصف الله بالاستلقاء ليستريح من الإعياء واللغوب بعد خلقه السماوات والأرض، وهذا مخالف لصريح القرآن؛ مما يجعل هذا الحديث الذي جاءت به القصة باطلاً موضوعًا، والتخريج والتحقيق يدين ذلك أيضًا.

ثانيا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة:

١) أخرجه الإمام الحافظ الطبراني المتوفى

(٣٦٠هـ) في «المعجم الكبير» (١٣/١٩) ح (١٨) قال: «حدثنا جعفر بن سليمان النوفلي، وأحمد بن رشدين المصري، وأحمد بن داود المكي قالوا: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال حدثنا محمد بن فليح بن سليمان، عن أبيه، عن سعيد بن الحارث، عن عبيد بن حنين قال: بينما أنا جالس (في المسجد) إذ جاءني قتادة بن النعمان فقال لي: انطلق بنا يا ابن حنين إلى أبي سعيد الخدري فإني قد أخبرت أنه قد اشتكى فانطلقنا فدخلنا على أبي سعيد فوجدناه مستلقيًا رافعًا رجله اليمنى على اليسرى....» الحديث.

٢) وأخرجه الإمام الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٠٧/٣) ط: دار الجيل. بيروت- من طريق إبراهيم بن المنذر الحزامي به.

٣) وكذلك الحافظ ابن أبي عاصم في كتاب: «السنة» (٢٤٨/١) ح (٥٦٨) عن إبراهيم الحزامي به.

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية السند تالف بالطعن في الرواة والسقط في الإسناد:

١) أما عن الطعن في الرواة ففي السند: سعيد بن الحارث، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٦٢٢/٤٣٤/١): «ويقال الحارث بن سعيد مصري لا يُعرف». اهـ.

وفي السند أيضًا: فليح بن سليمان، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١١٤/٢): «كثير الخطأ». اهـ، وقال في «التهذيب» (٢٧٣/٨): «وقال ابن معين: ليس بالقوي، ولا يُحتج بحديثه، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال النسائي: ضعيف». وفي السند أيضًا محمد بن فليح قال الحافظ في «التهذيب» (٣٦٠/٩): «قال ابن معين: فليح ليس بثقة ولا ابنه».

قلت: لذلك قال الإمام الحافظ البيهقي بعد أن أخرج الحديث الذي جاءت به هذه القصة قال: «هذا حديث منكر»، وفليح بن سليمان لم يثبت بروايته مثل هذا الحديث. اهـ.

٢) السقط في الإسناد: قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٣٥٠/٢): «قال سفيان الثوري: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ». اهـ.

قلت: واستعمل ذلك الإمام البيهقي في هذا الخبر فقال: «وفيه علة أخرى: وهي أن قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصلى عليه عمر، وعبيد بن حنين مات سنة خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة فتكون روايته عن قتادة منقطعة». اهـ.

قلت وبيان ذلك: أن عمر بن الخطاب استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين كذا في «التقريب» (٥٤/١).

أما قتادة بن النعمان فقد مات في خلافة عمر بن الخطاب وصلى عليه عمر، بل قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠٧/٢): «ونزل عمر في قبره»، إذن توفي في سنة (٢٣) أو فيما قبلها.

أما عبيد بن حنين فكما بيَّن الإمام البيهقي وكذلك المزي في «تهذيب الكمال» (٤٢٩٦/٢٩٤/١٢) توفي بالمدينة سنة (١٠٥هـ) وهو ابن (٧٥) سنة فيكون مولده سنة (٣٠هـ) أي بعد موت عمر رضي الله عنه بسبع سنين، وهو الذي صلى على قتادة بن النعمان، فكيف يقول عبيد بن حنين: جاءني قتادة بن النعمان، وابن حنين لم يُولد، فلا نامت أعين الوضاعين الكذابين الذين يكذبون على الله وعلى رسوله وعلى صحابته.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ علي حشيش

٩٦٢) «الحج قبل التزويج».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص ١/٣٩) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «فر عن أبي هريرة».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

وهذا تخريج بغير تحقيق؛ فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه «موضوع»؛ فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(١٤٥٠ - الغرائب الملتقطة) من طريق غياث بن إبراهيم، عن ابن ميسرة، عن أبيه، عن أبي هريرة، مرفوعًا.

والحديث علته: ميسرة وهو ابن عبد ربه، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١/٣): «كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع المعضلات عن الثقات، لا يحل كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار». اهـ.

ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٩٥٨/٢٣٠/٤): أن أبا داود قال: «أقر بوضع الحديث». وأن الدارقطني قال: «متروك»، وأن البخاري قال: «ميسرة بن عبد ربه يرقى بالكذب».

ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٦٢/٦) (٨٧١٧/١٩٣٢) أن النسائي قال في التمييز: «ميسرة بن عبد ربه كذاب». اهـ.

وأن الحاكم قال: «يروي عن قوم مجهولين الموضوعات وهو ساقط». اهـ.

وأن أبا نعيم قال: «يروي الأباطيل»، وأن مسلمة بن القاسم قال: «كذاب». اهـ.

وعلة أخرى: غياث بن إبراهيم.

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٠١/٢): «كان يضع الحديث، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب، ولا يذكر روايته إلا أهل الصناعة للاعتبار والاذكار». اهـ.

٩٦٣) «من تزوج قبل أن يحج، فقد بدأ بالمعصية».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام ابن عدي في «الكامل» (١٩٣/٣٦٤/١) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وعلته: محمد بن أيوب بن سويد الرملي وأبوه؛ قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٩٩/٢): «يروى عن أبيه الأشياء الموضوعة، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه». اهـ.

فأما أبوه أيوب بن سويد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٧٩/٢٨٧/١): قال النسائي: «ليس بثقة». وقال ابن معين: «ليس بشيء». اهـ.

وعلة ثالثة: أحمد بن جمهور، قال الذهبي في «الميزان» (٣٢٣/٨٨/١): «متهم بالكذب». اهـ.

٩٦٤) «رأيت ربي بمنى عند النفر، على جمل أورق، عليه جبة صوف أمام الناس».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢٤٧/٣٩٦/٢٧): عن أبي رزين لقيط بن عامر مرفوعًا، وقال: كتبه أبو بكر الخطيب الحافظ عن الأهوازي متعجبًا من نكارته والأهوازي متهم به. اهـ

قلت: وعلته: الأهوازي أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (١٩١٦/٥١٢/١) وقال: «الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد أبو علي الأهوازي مقرئ الشام صنف كتابًا في الصفات، لو لم يجمعه لكان خيرًا له، أتى فيه بموضوعات وفضائح، ثم أورد هذا الحديث من منكراته وموضوعاته وفضائحه، ونقل أن الحافظ أبا بكر الخطيب قال: «أبو علي الأهوازي كذاب في الحديث والقراءات جميعًا».

ونقل أن الحافظ ابن عساكر قال في «تبيين كذب المفتري»: «لا يستبعد جهل وكذب الأهوازي فيما أورده من تلك الحكايات؛ فقد كان من أكذب الناس فيما يدعي من الروايات في القراءات». اهـ.

الحلقة 9

نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

الإمام أبو الحسن الأشعري.. ناصر السنة وقامع البدعة

يهدم في (رسالته إلى أهل الثغر) كل ما بناه متأخرو الأشعرية - مما كان عليه من قبل - من أصول، في: معرفة الله بصفاته ويؤكد على أن المرجعية في ذلك وغيره، هي: نصوص الوحي.. لا الفلسفة التي لا يزال الأشعرية يقرنونها بعقيدة المسلمين، ولا العقل القاصر عن إدراك ذاته سبحانه وصفاته

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فأبو الحسن الأشعري هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُردَة عامر ابن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وقد قيل: (الأشعري)؛ لأن أمه ولدته وهو أشعر، وقيل: نسبة إلى (أشعر) أحد أولاد سبأ الذين كانوا باليمن، ثم لما بُعث صلى الله عليه وسلم هاجر رهط منهم وعلى رأسهم أبو موسى الأشعري إلى أرض الحبشة، وأقاموا مع جعفر بن أبي طالب حتى قدموا جميعًا على رسول الله بغية التعرف على دين الله الحنيف وإشهار إسلامهم، ومما حُكي عن هؤلاء القوم أنهم لما اقتربوا من المدينة صاروا يرددون:

غدًا نلقى الأحبة ...... محمدًا وصحبه

١) نبذة مختصرة عن حياة أبي الحسن الأشعري:

ولد الأشعري بالبصرة ونشأ في بيئة سنية واشتهرت أسرته بين العرب بالصلاح والتقوى، ومما زاد من قدر هذه الأسرة أن كان لجدهم الأكبر من غير ما ذكرنا، مكانة خاصة عند رسول الله لذا قال فيه عليه السلام وفي قومه من أهل اليمن الأحاديث، ودعا لهم.

هذا، وقد أراد (إسماعيل) لولده أبي الحسن ما أراده لنفسه، أراد له أن يكون سنيًا، وهو ما بدا واضحًا فيما أوصى به عند وفاته إلى زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه وأصوله وأحد تلامذة الإمام أحمد بن حنبل.. فكان أن حفظ القرآن والحديث وأتقن علومهما وبرع في الفقه وأصوله وفي علوم اللغة وأصول التفسير، ولا غرو فقد أخذ الحديث عن الحافظ الساجي وغيره من المحدثين البصريين، وأخذ الفقه وأصوله عن أبي إسحاق المروزي.. كما أخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ثم ترك مذهبه على إثر

مناظرة وقعت بينهما.

وكان أن تجاوز الأشعري مرحلة الاعتزال هذه وانتقل بعدها إلى مرحلة أخرى تأثر فيها بشيخه عبد الله بن كلاب وهي المرحلة التي باشر فيها علم الكلام واتجه إلى بعض الأدلة العقلية وهي التي كان فيها يتأول ما سوى صفات المعاني، يقول الحافظ ابن كثير في طبقات الشافعية ٢٠٥/١: «ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي (الحياة) و(العلم) و(القدرة) و(الإرادة) و(السمع) و(البصر) و(الكلام)، وتأويل الخبرية كـ (الوجه) و(اليدين) و(القدم) و(الساق).. ونحو ذلك.

والحال الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في (الإبانة) التي صنفها آخرًا».

وقد جاء في (الإبانة) ضمن ما أفحم به المعتزلة ما نصه: «ويقال لهم: هل تعرفون لله نعمة على أبي بكر الصديق خص بها دون أبي جهل ابتداءً؟ فإن قالوا: لا، فحُش قولهم، وإن قالوا نعم، تركوا مذاهبهم لأنهم لا يقولون إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين».. وألزم.. كما جاء فيها للدلالة على صدق ما ذكر ابن كثير، قوله: "فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما رُوي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظَّم، وكبير مفخَّم وعلى جميع أئمة المسلمين.. وجملة قولنا:... وذكر سائر الاعتقاد.

وعن فضل أبي الحسن حدث ولا حرج، فقد تصاغر أمامه جهابذة العلم وكبار أئمته، يقول الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: «كنت في جنب الشيخ أبي الحسن الباهلي كقطرة في جنب بحر، وسمعت الباهلي يقول: كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر»، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن»، ذلك أن من وقف على تواليفه بعد توبته وأوبته لمعتقد أهل السنة يرى أن الله أمده بمواد توفيقه، وأقامه لنصرة الحق والذب عن طريقه..

ويكفي في ذلك ثناء الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص١٠٤ وقوله عنه: «إنه كان في عصره أعلم الخلق بما يجوز أن يُطلق في وصف الحق، فأظهر في مصنفاته ما كان عنده من علمه، فهدى الله به من وفقه من خلقه لفهمه»، ونقل في ص٥٣ عن بعض العلماء قوله: «أعاد الله هذا الدين بعدما ذهب: بأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري».

وكان ابن خلكان الشافعي ت٦٨١ قد وصفه في (وفيات الأعيان) ٢٨٤/٣ بأنه: «صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب أهل السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية - يعني: التي دانت بما دان به في آخر حياته، إذ هي الأولى بالانتساب إليه خلافًا لمن سمَّوا بذلك زورًا وبهتانًا - وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه».. كما قال عنه ابن قاضي شهبة في طبقاته: «الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين».. وقال عنه اليافعي في (مرآة الجنان): هو «الشيخ الإمام ناصر السنة وناصح الأمة، إمام الأئمة ومُدحض حجج المبتدعين المارقين، حامل راية منهج الحق ذي النور الساطع والبرهان القاطع» إلى آخر ذلك مما يضيق به المقام.

ولكل ما ذكر، فقد اعتبره بعض العلماء مجدد القرن الثالث الهجري، وأيد ابن عساكر ص٥٣ هذا قائلاً: «قول من قال: إنه (أبا الحسن الأشعري) - يعني: المجدد - أصوب؛ لأن قيامه بنصرة السنة إلى تجديد الدين أقرب، فهو

الذي انتُدب للرد على المعتزلة وسائر أصناف المبتدعة المضللة، وحالته في ذلك مشتهرة وكتبه في الرد عليهم منتشرة».. وقال ابن عساكر ص٨٧ - بعد أن نقل كثيرًا من ثناء العلماء عليه -: «فكفى أبا الحسن فضلًا أن يشهد بفضله هؤلاء الأئمة، وحسبه فخرًا أن يثني عليه الأماثل من علماء الأمة».

وبعد حياة حافلة بالعلم ومترعة بشرف الغاية ونبل المقصد، ومفعمة بسلامة المعتقد والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، توفي أبو الحسن الأشعري ببغداد سنة ٣٢٤هـ على عقيدة أهل السنة وسلف الأمة بعد أن تبرأ من كل ما لا يزال يُروَّج له الآن على أنه مذهبه، ومن جُل ما كان يعتقده متكلمة عصره وغيرهم ممن يدَّعون الانتساب إليه حتى يوم الناس هذا، وذلك بعد أن (بيّض وجوه أهل السنة) و(رد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع)، (وحجرهم في أقماع السماسم) على حد قول ابن عساكر في (التبيين)، والبغدادي في تاريخه، وابن العماد في (الشذرات) وابن تيمية في (الفتاوى الكبرى).. ودفن بين الكرخ وباب البصرة.. فعليه من الله سحائب الرحمة والرضوان.

٢) أبو الحسن الأشعري يبطل (دليل الحدوث والأعراض).. مستند الأشعرية ومتكلمهم في: معرفة الله وتعطيل صفاته

قام المنهج الأشعري إبان مرحلته الوسطى التي عليها أكثر الناس الآن!؛ على: الاستدلال لمعرفة الله وصفاته بالاعتماد على مجرد الدلائل العقلية في إثبات المسائل العقدية، كمسألة: أن أول واجب على المكلف؛ ألا يقلد وأن يَعرف أن العالَم حادثٌ وأن الحادثَ لابد له من مُحْدث قديم مخالف للحوادث.. في خطوة جريئة لتعطيل صفات الله تعالى.

كون الصفات التي يسمونها: (الأعراض) لا تقوم إلا بجسم، والأجسام لا تخلو من جنس الحوادث ويمتنع خلوها من الأعراض، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.. فتنزيههم هذا وذهابهم إلى أن العَرَض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز عبارة عن: جسم مركب أو جوهر مفرد، وكذا قولهم بأن لو كان الله متصفًا بالصفات الفعلية كـ(النزول والمجيء والاستواء) ونحوها لكان جسمًا ولو كان جسمًا لكان مشابهًا للمخلوقات والله ليس كمثله شيء، كل هذا حق أريد به باطل وقد أدى بهم إلى تعطيل صفاته تعالى الخبرية والفعلية.

وهذا كله لا حق لهم فيه، "لأنه - وعلى حد قول الأشعري في مقدمة (رسالة أهل الثغر) - لا يجب إذا أثبتنا صفاته تعالى على ما دلت عليه العقول واللغة والقرآن والإجماع أن تكون محدثة؛ لأنه لم يزل موصوفًا بها.. كما لا يجب أن تكون أعراضًا لأنه تعالى ليس بجسم، وإنما توجد الأعراض في الأجسام ويدل بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها، كما لا يجب أن تكون نفس الباري جسمًا أو جوهرًا أو محدودًا أو غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا، لمفارقته لنا"ا.هـ.

ولا أدل على بطلان دليلهم هذا المسمى (دليل الحدوث) من أن ما أثبتوه من صفات المعاني السبعة هي على كلامهم، أعراض هي الأخرى ملازمة للجسمية، وعليه فيجب عليهم نفيها أيضًا وإلا لبطل أصل مذهبهم من الأساس.. ناهيك عن أن منهجهم هذا الباطل هو الذي مهد وأدى بهم لأن يخترعوا من الصفات ما لا دليل عليه، ولأن يتأولوا جميع صفاته تعالى الخبرية والفعلية المدلول عليها بنصوص الوحي، بل ولأن يقولوا باستحالة اتصاف الله بها وأن النصوص الدالة عليها من القرآن والسنة مجرد ظواهر غير قطعية الدلالة لمعارضتها الدلائل العقلية التي هي بنظرهم دلائل قطعية يقينية، وأن الشرع لا يَجوّز أن يَرُدَّ ما يقرُّه العقل الذي هو بمثابة المزكي للشرع والمعدِّل له، كذا بما يعني أيضًا نقض مذهبهم في التحسين الشرعي، وبما يعني كذلك: إهدار النصوص وانتهاك حرماتها، وتأويلها تأويلًا مخلًا يحمل في طياته التحريف والتعطيل الناشئ عن التأويل، والتكذيب لما صرحت به الآيات والأحاديث من صفاته تعالى.

الأمر الذي دعا شيوخ وأئمة أهل السنة لأن يتصدَّوا لرد هذه الترهات والشبهات، فكان ان أبطل ابن القيم رحمه الله شبهة أن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين من ثلاثة وسبعين

وجهًا، وردُّ شبهة أن الأدلة النقلية تعارض الأدلة العقلية بما يزيد عن ثلاثين ومائتي وجهًا، وأن يصف هاتين الشبهتين بـ(الطاغوت)، وهكذا فعل أئمة أهل السنة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري نفسه في (رسالته إلى أهل الثغر)، ولكن كل بطريقته.

وفي دحض ما ذهب إليه متأخرو الأشعرية – وقد ارتضوا على أنفسهم انتهاج نهج الفلاسفة الملاحدة بالقول في معرفة الله بصفاته والواجب بحقه تعالى والجائز والمستحيل بـ (دليل الحدوث والأعراض) – يقول أبو الحسن في مقدمة (رسالته إلى أهل الثغر):

"اعلموا أن الذي مضى عليه سلفنا ومَن اتّبعهم من صالح خلَفنا: أن الله بعث محمدًا إلى سائر العالمين وهم فِرَقٌ متباينون، منهم: كتابي، وفلسفي قد تشعبت به الأباطيل في أمور يدّعيها بقضايا العقل، وبرهمي، وثنوي، ومجوس، لينبههم جميعًا على حَدَثهم ويدعوهم إلى توحيد المحْدِث لهم، ويبين لهم طرق معرفته بما فيهم من آثار صنعته، ويأمرهم برفض كل ما كانوا عليه من سائر الأباطيل بعد تنبيهه لهم على فسادها، وأنه عليه السلام دعا جماعتهم إلى الله ونبَّههم على حدثهم بما فيهم من اختلاف الصور والهيئات التي هي الأعراض، بما يقتضي وجوده ويدل على إرادته وتدبيره، حيث قال: «وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (الذاريات:٢١)، وشرح ذلك بقوله: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ» (المؤمنون:١٢، ١٤).

وهذا من أوضح ما يقتضي الدلالة على حدث الإنسان ووجود المحدث له، من قبَل أن العلم قد أحاط بأن كل متغير لا يكون قديمًا، وذلك أن تغيره يقتضي مفارقة حال كان عليها قبل تغيره، وكونه قديمًا ينفي تلك الحال، وإذا كان هذا على ما قلنا، وجب أن يكون ما عليه الأجسام من التغير منتهيًا إلى هيئات محدَثة لم تكن الأجسام قبلها موجودة بل كانت قبلها محدثة كذلك، ويدل ترتيب ذلك على محدثٍ قادرٍ حكيم".

٣) الأشعري يؤكد على ضرورة أن يكون المرجعية في معرفة الله بصفاته هو: الكتاب والسنة والإجماع:

يقول: "ثم زادهم تعالى في ذلك بيانا بقوله: «إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ» (آل عمران:١٩٠) فدلهم بحركة الأفلاك على المقدار الذي بالخلق الحاجة إليه في مصالحهم التي لا تَخفى مواقعُ انتفاعهم بها، كالليل الذي جُعل لسكونهم ولتبريد ما زاد عليهم من حر الشمس في زروعهم وثمارهم، والنهار الذي جُعل لانتشارهم وتصرفهم في معايشهم على القدْر الذي يحتملونه في ذلك، وجعل لهم من البرد والحر فيهما مقدار ما لهم ولثمارهم ولمواشيهم من الصلاح رفقًا لهم، وجعل لون ما يحيط بهم من السماء ملائمًا لأبصارهم، ودلهم على حدثها بما في حركاتها واختلاف هيئاتها.. ودلهم على حاجتها وحاجة الأرض وما فيها من الحِكم على عظمتها وثقَل أجرامها، إلى إمساكه تعالى لهما بقوله: «إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ» (فاطر:٤١)، فعرَّفنا أن وقوعهما لا يصح أن يكون من غيره، وأن وقوفهما لا يجوز أن يكون بغير مُوقِف لهما"..

إلى أن قال: "وكذلك أزاح نبينا بالقرآن علل الفصحاء من أهله، وأوضح لجميع من بُعث إليهم من الفرق: فساد ما كانوا عليه بحجج الله وبيِّناته، حتى لم يبق لأحد منهم شبهة فيه، ولا احتيج إلى زيادة من غيره، فعُلم بذلك صحة دعوته إلى التوحيد وإقامة الحجة على ذلك وإيضاحه الطرق إليها، وقد أكد الله دلالة نبوته بما كان من خاص آياته التي نقض بها عاداتهم؛ كإطعامه الجماعة الكثيرة في المجاعة الشديدة من الطعام اليسير.. ثم دعاهم إلى معرفة الله وإلى طاعته فيما كلف تبليغه إليهم، وعرَّفهم أمر الله بإبلاغه ذلك وما ضمنه له من عصمته حتى بلَّغ رسالة ربه إليهم، ودلهم على صحة ما دعاهم إلى اعتقاده بحجج الله وتبيانه لهم"..

وإلى لقاء،

والحمد لله رب العالمين.

توقير الله وتعظيمه

إعداد
فيصل بن جميل غزاوي
خطيب المسجد الحرام

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) (النساء: ١)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعدُ: فإن الله-تعالى- هو العظيم الذي لا أعظمَ منه، القادرُ على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته، وتعظيمُ الله-عز وجل- من أجل العبادات القلبية، وهو الذي يتعيَّن ترسيخه في القلوب، وتزكية النفوس به، وكلما كانت المعرفة بالله أتم، والعلمُ به أكمل كانت الخشية له أعظمَ وأكثر، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ) (فاطر: ٢٨)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّما أنَا أعلمُكم بالله وأخشاكم له"، وقد ذمَّ الله-سبحانه- أولئك الذين لم يُوقِّرُوه حقَّ توقيره فقال عزَّ منْ قائل: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ) (الزمر: ٦٧)، فهم جاهلون بربهم العظيم القدير، ما عرفوه حقَّ معرفته، وما عظموه حق تعظيمه، وما أعطوه ما يستحقه-سبحانه-: من تقديس وإجلال وتكريم وتنزيه.

عبادَ الله: من أخطر ما يفتك بقلب العبد، ويُورده المهالك، أن يعتقد الإنسانُ في ذات الله-تعالى-، أو صفاته، أو أفعاله خلاف الحقّ، قال تعالى على لسان إبراهيم-عليه السلام- وهو يخاطب قومه الذين اتخذوا الأصنام آلهة: (فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) (الصافات: ٨٧)؛ أيّ: إنَّ اعتقادكم في جانب ربِّ العالمين باطل وجهل منكرٌ.

وقد يكون المرءُ ممَّن يُسيء الظنَّ بربه وهو لا يشعر، قال ابن القيِّم-رحمه الله-: "فأكثر الخلق، بل كلهم إلا مَنْ شاء الله يظنُّون بالله غيرَ الحق ظنَّ السَّوء؛ فإنَّ غالبَ بني آدم يعتقد أنَّه مبخوسُ الحقّ، ناقصُ الحظ، وأنَّه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسانُ حاله يقول: ظلمَني ربي، ومنَعني ما أستحقّ، ونفسُه تشهد عليه بذلك، وهو-بلسانه- يُنكره، ولا يتجاسَر على التصريح به، ولو فتشتَ مَنْ فتَّشته، لرأيتَ عنده تعتُّبًا على القَدر، وملامةً له، واقتراحًا عليه خلاف ما جري به، وأنَّه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقِل ومستكثر، وفتِّش نفسَك، هل أنتَ سالم من ذلك؟!" انتهى كلامه-رحمه الله-.

ومن صُور هذه المسألة-أيها الإخوة- التسخطُ والاعتراض على الأقدار؛ فهي من أخطر أمراض القلوب، ومن مظاهر ذلك قول بعضهم إذا أُصيب بمصيبة: ماذا فعلتُ يا ربي؟ أو أنا لا أستحقّ ذلك، أو عندما يرى على أحد نعمةً فيحسُده عليها قائلًا: لماذا فلان عندَه كذا وكذا وأنا ما عندي شيء؟! وكذلك ما يقوله بعضُهم إذا أُصيبَ شخصٌ بمصيبة: فلانٌ مسكينٌ لا يستحقّ ما جرى له! أو لا يستأهل هذه العقوبة، فمثل تلك الأقوال المنكرة ممَّا يَكثر على الألسنة، وذلك من الاعتراض على قضاء الله وقدره، ومن الجهل بحكمته-سبحانه- فلا يجوز إطلاقها، ولا أن نتكلَّم بكلمة تُسخط ربَّنا وتحبط عملَنا، بل

علينا أن نرضى ونسلِّم لأمر الله وحُكمه وتدبيره، وأن نُحسن الظنَّ به، ونفوِّض الأمر إليه.

عبادَ الله: ومن الأمور التي تدل على عدم تعظيم الله وإجلاله الاعتقاد بأن النفع والضر بيد أحد من الخَلق، ومن صُوَر ذلك نسبة الشفاء لغير الله؛ مع أن طلب الشفاء لا يكون إلا من الله وحده؛ فهو الذي يشفي من الأمراض جميعها، أمراض القلوب، وأمراض الأبدان؛ فالمؤمن وإنْ أخَذ بأسباب الشفاء فهو يعتقد ألاَّ شافيَ إلاَّ الله، ولا يكشف الضرَّ ويُذهب البأسَ إلاَّ هو، قال تعالى: (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (الأنعام: ١٧).

وممَّا يَحسُن التنبيهُ عليه هنا أنَّ بعضَ المرضى تتعلَّق قلوبُهم بالأسباب؛ كالأطباء والمعالجين، والواجب أن يكون تعلق القلب بالذي أنزل الداءَ، ولا يرفعُه إلا هو، قال تعالى على لسان عيسى- عليه السلام-: (وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ) (آل عمران: ٤٩)؛ أيْ: ولا أفعل كل ذلك بقدرتي وعلمي، وإنما أفعله-بإذن الله- وبإرادته وأمره، وفي قصة الغلام المؤمن قال: "إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله"، فكان يعلق القلوبَ بالله خالق الأسباب وأثرها، ويؤكد على أن الذي يشفي حقيقةً هو الله-سبحانه-، كما قال عز وجل على لسان إبراهيم-عليه السلام-: (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (الشعراء: ٨٠)؛ ولذلك ينبغي أن ندرك هذه الحقيقة، فبعضُ الناس إذا سمعوا عن أحد من الرُّقاة بأن فلانًا قد رُقيَ عنده فبَرِئَ، لرُبَّما اعتقدوا فيه، وتهافَتوا عليه، يظنُّون أن الشفاءَ عنده، وهو مخلوقٌ عاجزٌ ضعيفٌ لا يملك شيئًا، فينبغي لهذا الراقي أن يُعلِمَهم أنَّ الله-تعالى- هو الشافي، وأنَّ الرقيةَ سببٌ، وليست بذاتها تشفي.

عبادَ الله: ومن جهالات بعض الضالِّين بعلم الله- تعالى-، المحيط بكل شيء ما حكاه الله عن قوم لم يُعظِّموه حقَّ عظمته فقال سبحانه: (أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) (هود: ٥)؛ أيْ: إنهم كانوا يثنون صدورَهم إذا قالوا شيئًا أو عملوه، يظنُّون أنهم يستخفون من الله بذلك؛ فأعلَمَهم أنهم حين يتغطون بثيابهم عند منامهم في ظُلمة الليل يعلم ما بداخلها، كما يعلم ما بخارجها، وهو عليمٌ بما تُكِنّ صدورُهم من النيات والضمائر والسرائر، وعلمُه-تعالى- محيطٌ بكل حال من الأحوال.

وما أقبحَ فعلَ العبد، وما أشدَّ غفلتَه عندما لا يستشعر رقابة الله، فيعصيه حال غيبته عن أعين الخَلق؛ فذنوبُ الخلوات عنوانٌ كبيرٌ لضَعْف تعظيم الله في قلب العبد، وبرهانٌ ساطعٌ على عدم إجلال الله-سبحانه- كما يليق بجلال وجهه، قال عز وجل مُنكرًا على أولئك الذين يستترون بقبائحهم من الناس: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) (النساء: ١٠٨)؛ فلنحذرْ عبادَ الله أن نعصي ربَّنا حال الخلوة؛ فإنه الرقيب، مُطلع علينا ويرانا حيث كنَّا ولا يغفل عنَّا، ولا يخفى عليه ما نسمعه في خلواتنا من الأمور المحرمة ولا ما ننظر إليه من الصُّور الفاتنة، ولا ما نراه من المشاهد الفاضحة والمقاطع الآثمة، في الوسائل المختلفة.

أيها الإخوة في الله: ومن المسائل التي ضلَّ فيها قوم التسوية بين الأخيار والفُجَّار، والأبرار والأشرار، وهم بذلك ينسبون إلى الله-عز وجل- ما لا يليق بجلاله، ويتنافى مع عظمته وعدله وكماله، قال ابن القيم-رحمه الله-: "وقد أنكر- تعالى- على مَنْ نسَب إلى حكمته التَّسويَةَ بينَ المختلفين؛ كالتسوية بينَ الأبرار والفُجَّار فقال تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ) (ص: ٢٨)، وقال تعالى: (أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) (الجاثية: ٢١)، وإنما أنكرَه من جهة قُبحه في نفسه، وأنَّه حُكمٌ سيءٌ ي-تعالى- ويتنزه عنه؛ لمنافاته لحكمته وغناه وكماله، ووُقوع أفعاله كلِّها على السداد والصواب والحكمة، فلا يليق به أن يجعل البرَّ كالفاجر، ولا المحسنَ كالمسيء، ولا المؤمنَ كالمفسد في الأرض؛ فدلَّ على أن هذا قبيحٌ في نفسه-تعالى- الله عن فعله" انتهى كلامه- رحمه الله-.

فإذا كان الله العليمُ الخبيرُ قد فرَّق بين هؤلاء وهؤلاء فكيف يُسوِّي الجاهلون بينهم، ساء الحكمُ حكمُهم، قال سبحانه: (أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (القلم: ٣٥-٣٦)، وقال عز وجل: (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ)

(السَّجْدَة: ١٨)، فإذا كان الأمرُ كذلك فما ينبني على هذا التفريق من الأحكام هو من المحكمات الثابتة، والأسس الراسخة، قال سبحانه: (إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (المائدة: ٧٢)، وفي الصحيح: أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعث مناديًا ينادي في الناس: "إنّ الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمةٌ"، وفي لفظ: "مؤمنةٌ".

أيها المسلمون: عند التأمُّل في سر إحسان السلف، وكثرة عبادتهم لربهم، وجهادهم أنفسهم في ذات الله، وتضحيتهم من أجله، وبذلهم للغالي والنفيس في سبيله، نجد أن سببَ ذلك هو قوة معرفتهم بالله، وتعظيمهم له حقَّ التعظيم فلو عرفنا الله حقَّ معرفته لتغيّرت أحوالُنا، ولحسُنَتْ فعالُنا، لكن لما عَظُم الجهل بالله منْ قبل كثير منا، قلّ خوفنا منه، وضَعُفَ رجاؤنا فيه، وجعلناه أهونَ الناظرين إلينا؛ فلا غرابةَ حينئذ من تعدّي حدود الله، والاستهانة بمعاصيه وعقوباته، والجرأة على ارتكاب الكبائر وانتهاك حرماته.

عبادَ الله: وعندما لا يعرف العبدُ ربَّه حقًّا، ولا يستشعر عظمةَ الخالق يَبْعُد عن منهجه، ويتقاعس عن عبادته، ويتكاسَل عن طاعته، ويترك أوامره، ويرتكب معاصيه، كلُّ هذا لأن القلوب ما عرَفت اللهَ حقَّ معرفته، وإلا فهل يُعقل أن يجترح المرءُ السيئات، أو يقع في الفواحش والموبقات وهو يعرف ربَّه معرفةً يقينيةً، ويعلمُ أنَّ الربَّ-جل جلاله- يراه ويسمعه، ويطّلع على جميع أحواله، ويعلم كلَّ أسراره، ولا يغيب عن أمره منه شيءٌ. كيف يمكن أن يعصيه إذا كان يعرفه بهذه المعرفة؟! بل هذا المستخفُّ بالمعاصي جاهلٌ بمقام الله وقَدْره، وجاهلٌ بنظر الله ومراقبته، قد اغترَّ بحِلْم الله وإملائه، ونسي أنّ إبليسَ كان في الجنة مع الملائكة المقرّبينَ فلمعصية واحدة وقعَتْ منه أصبح شيطانًا رجيمًا استحقَّ لعنةَ الأبد، وعذابَ الخُلد، كما نسي هذا المستخف بالمعاصي أنَّ آدم-عليه السلام- الذي خَلَقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجدَ له ملائكته، بذنب واحدٍ أُخرجَ من الجنة ونعيمها، ولولا أنْ تاب اللهُ عليه لكان من الهالكين.

عبادَ الله: منَ الواجب علينا أن نُحيي عظمةَ الله في قلوبنا بأن نتعرَّف عليه حقَّ معرفته، وسبيلُ ذلك أن نتدبَّر القرآنَ الكريمَ، ونُكثر من تلاوته، ونتمعَّن في آياته، ونقف عند معانيه، ونتفاعل معه تفاعلًا حقيقيًّا بكل مشاعرنا فتؤثرَ آياتُه في نفوسنا، ونتعرفَ من خلال ذلك على ربِّنا، وكذلك نتعرَّف عليه بالنظر إلى مخلوقاته في هذا الكون؛ (إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ) (آل عمْران: ١٩٠)، كما نتعرَّف عليه- سبحانه- بالنظر إلى أنفسنا؛ (وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (الذاريات: ٢١).

هذا وصلُّوا وسلِّموا عباد الله على نبيكم، كما أمركم ربكم-جل وعلا-: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأحْزاب: ٥٦)، اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليتَ على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيدٌ.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الكفرَ والكافرينَ، ودمِّرْ أعداءَك أعداءَ الدين، اللهم واحفظ بلاد الحرمين، من شر الأشرار، وأذية الفجار، وكيد الكائدين، ومكر الماكرين، ومن كل متربص وحاسد وحاقد، وعدو للإسلام والمسلمين.

اللهم واجعلها آمنةً مطمئنةً، رخاءً وسعةً، وسائرَ بلاد المسلمين، اللهم أبرم لأمة الإسلام أمرًا رشدا، يعز فيه أهل طاعتك، ويهدى فيه أهل معصيتك، ويأمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء.

اللهم ادفع عنَّا الغلاء والوباء والأدواء، والربا والزنا والزلازل، والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصةً، وعن سائر بلاد المسلمين.

اللهم كُنْ لإخواننا المستضعَفين والمجاهدينَ في سبيلك، والمرابطينَ على الثغور، وحماة الحدود، اللهم كُنْ لهم معينًا ونصيرًا، ومؤيّدًا وظهيرًا، اللهم آمنَّا في الأوطان والدُّور، وأصلح الأئمةَ وولاةَ الأمور، واجعل ولايتنا فيمنْ خافك واتقاك واتبع رضاك، يا ربَّ العالمينَ.

مقالات في معاني القراءات

د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة المائدة:

قوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا) المائدة:٢.

القراءات: (شنآن) قرأ ابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، بإسكان النون على أنه اسم والباقون بفتحها على أنه مصدر (أن صدوكم): قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، بكسر الهمزة والباقون بفتحها.

المعنى: على قراءة (أن صدوكم): لاَ يَحمِلَنَكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ قَدْ كَانُوا صَدُّوكمْ عَنِ الْوُصُول إلَى الْمَسْجد الْحَرَام، وَذَلكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَة، عَلَى أَنْ تَعْتَدُوا في حُكْمِ الله فيكُمْ فَتَقْتَصُّوا منْهُمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، بَلِ احْكُمُوا بِمَا أَمَرَكُمُ الله بِهِ منَ الْعَدْلِ في كل أحد.

ومن قرأ (إن) جعلها حرف شرط للجزاء على أنه أمر منتظر أي: إن وقع صد فيما يستقبل (تفسير ابن كثير- سورة المائدة:٢، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص٦٧).

قوله تعالى: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (المائدة: ٦).

القراءات: (وأرجلكم) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب: بنصب اللام، والباقون: بكسرها

المعنى: على قراءة النصب أنه عطفه على الوجوه والأيدي وكلها تشترك في حكم الغسل، وقراءة الجر أنه حمله على العطف على الرؤوس، والأكثر في كلام العرب أن يحمل العطف على الأقرب من حروف العطف، والمسح في لغة العرب يستعمل في الغسل، أو يحمل مسح الأرجل على بعض الأحوال وهو لبس الخف، وقيل: للتنبيه على عدم الإسراف في الماء لأن الأرجل مظنة لصب الماء كثيرًا فعطفت على الممسوح، والمراد غسلها، وقد قامت الدلالة من السنة والإجماع على غسل الأرجل في الوضوء (الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٤٤٥، لطائف الإشارات للقسطلاني٤/١١٠).

قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (المائدة: ١٣).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي: بحذف الألف وتشديد الياء (قسِيَّة)، والباقون: بإثبات الألف وتخفيف الياء.

المعنى: (قاسية) اسم فاعل ومعناها: غليظة بائنة عن الإيمان، نزعت منها الرحمة والرأفة، و(قسِيَّة) على وزن (فعيلة) أبلغ في الذم لمن حرف كلام الله، ومال عن الحق، وقيل معناها ليست بخالصة الإيمان كما يقال للدراهم التي خالطها غش من نحاس وغيره (قسية) والقراءتان متقاربتان (حجة القراءات لابن زنجلة ص٨٢).

قوله تعالى: (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ) (المائدة: ٤٧).

القراءات: (وليحكم) قرأ حمزة بكسر اللام ونصب الميم، والباقون بإسكان اللام والميم.

المعنى: (وَليَحْكُمَ) نُصبَ الفعل بلام "كي" على معنى: آتينا عيسى الإنجيل لكى يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وقراءة (وَلْيَحْكُمْ)

جزم الفعل فيها بلام الأمر والمعنى: أمر الله أهل الإنجيل بالحكم بما أنزل في الإنجيل (الكشف ١/٤٤٩).

قوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) (المائدة: ٥٠).

القراءات: قرأ ابن عامر بتاء الخطاب (تبغون)، أي قل لهم: أفحكم الجاهلية تبغون، وقرأ الباقون: بياء الغيب لتعلقه بما قبله وهو قوله تعالى (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) (الكشف ١/٤٥٠).

قوله تعالى: (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا) المائدة: ٥٢- ٥٣.

القراءات:

١- (ويقول) قرأ الكوفيون: بإثبات الواو قبل الياء مع رفع اللام (ويقولُ) فهي عطف جملة على جملة.

٢- وقرأ أبو عمرو ويعقوب: بإثبات الواو ونصب اللام (ويقولَ) على تقدير تقدم "أن" فيصير التقدير: عسى الله أن يأتي بالفتح وعسى أن يقول الذين آمنوا.

٣- وقرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر: بحذف الواو ورفع اللام (يقولُ)، واستغنى عن حرف العطف: لأن في الجملة الثانية ضمير يعود على الأولى (الكشف ١/٤٥٠).

قوله تعالى: (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) (المائدة: ٦٠).

القراءات: قرأ الجماعة (وعبَد الطاغوت) بفتح الباء ونصب "الطاغوت" والمعنى جعل منهم من عبد الطاغوت، وقرأ حمزة بضم الباء وجر الطاغوت (وعَبُدَ الطاغوتِ) أي جعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت، والباء تضمها العرب للمبالغة في المدح أو الذم (الكشف ١/٤٥٣).

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (المائدة: ٦٧).

القراءات: (رسالته) قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وشعبة ويعقوب: بإثبات الألف بعد اللام مع كسر التاء على الجمع، والباقون: بالإفراد.

المعنى: على قراءة الجمع (رسالاته): لأنه عليه الصلاة والسلام أتى بأنواع شتى من الرسالة كأصول التوحيد والأحكام على اختلاف أنواعها، وقراءة الإفراد على أن اسم الجنس المضاف يعم جميع أنواع الرسالة (لطائف الإشارات ٤/١٢٩).

قوله تعالى: (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ) المائدة: ٨٩.

القراءات:

١- قرأ ابن ذكوان: (عَاقدتم) على معنى المفاعلة، أي بما عاقدتم عليه الأيمان، وعاقدتكم الأيمان عليه، أو تكون اليمين من كل واحد من الحالفيْن المتعاهديْن.

٢- وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف: بحذف الألف وتخفيف القاف (عَقَدتم) على أن العاقد واحد وتجب المؤاخذة باليمين الواحدة.

٣- وقرأ الباقون: بحذف الألف وتشديد القاف (عقّدتم) على التكثير: لأن المخاطب به جماعة أو أنه يدل على توكيد اليمين نحو: والله الذى لا إله إلا هو، أو على تأكيد العزم بالالتزام (لطائف الإشارات ٤/١٣٢).

قوله تعالى: (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) المائدة: ١١٠.

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف: (ساحر) إشارة منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأ الباقون (سحر) إشارة إلى ما جاء به من الوحي (الكشف ١/٤٥٩).

قوله تعالى: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ) المائدة: ١١٢.

القراءات: (هل يستطيع ربك) قرأ الكسائي: بتاء الخطاب (تستطيع) وادغام لام "هل" فيها ونصب باء "ربك" وقرأ الباقون: بياء الغيب ورفع الباء.

المعنى: على قراءة الكسائي خاطب الحواريون عيسى هل تستطيع سؤال ربك في إنزال مائدة علينا، وفيه معنى التعظيم للرب جل ذكره، وقراءة الجماعة على معنى: هل يفعل ربك ذلك؛ لأنهم لم يشكوا في استطاعة الله ذلك؛ لأنهم كانوا مؤمنين وكانوا عالمين باستطاعة الله ذلك علم دلالة وخبر ونظر، فأرادوا معاينة ذلك كما قال إبراهيم (بلى ولكن ليطمئن قلبي) ولذلك قالوا (وتطمئن قلوبنا) (الكشف ١/٤٦١).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

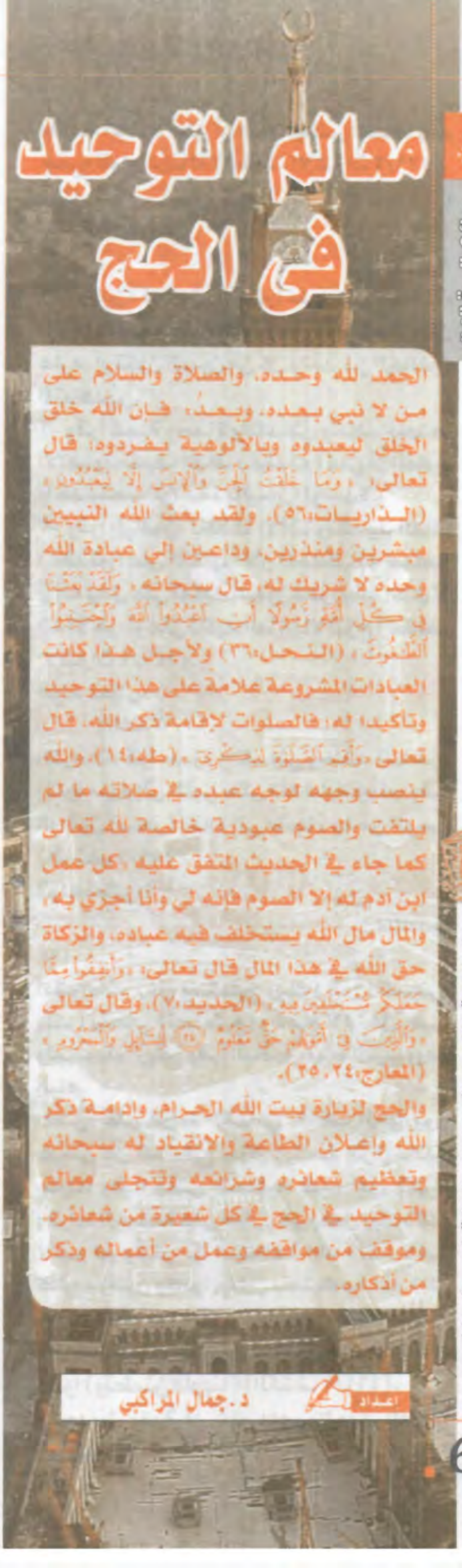

من معالم التوحيد في الحج

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ: فإن الله خلق الخلق ليعبدوه وبالألوهية يفردوه؛ قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات:٥٦). ولقد بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وداعين إلي عبادة الله وحده لا شريك له، قال سبحانه «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (النحل:٣٦) ولأجل هذا كانت العبادات المشروعة علامة على هذا التوحيد وتأكيدا له؛ فالصلوات لإقامة ذكر الله، قال تعالى «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» (طه:١٤). والله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت والصوم عبودية خالصة لله تعالى كما جاء في الحديث المتفق عليه «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» والمال مال الله يستخلف فيه عباده، والزكاة حق الله في هذا المال قال تعالى: «وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ» (الحديد:٧). وقال تعالى «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» (المعارج:٢٤، ٢٥).

والحج لزيارة بيت الله الحرام، وإدامة ذكر الله وإعلان الطاعة والانقياد له سبحانه وتعظيم شعائره وشرائعه وتتجلى معالم التوحيد في الحج في كل شعيرة من شعائره. وموقف من مواقفه وعمل من أعماله وذكر من أذكاره.

إعداد **د. جمال المراكبي**

أولاً: بناء البيت العتيق:

أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت الحرام ليكون مثابة للناس وأمنًا، وليكون قبلة للمؤمنين الموحدين ومنارة لنداء التوحيد فكان إبراهيم يبني ويرفع القواعد من البيت ومعه ولده إسماعيل وهما يدعوان الله تعالى «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (البقرة:١٢٧)، وهذا الدعاء منهما عليهما السلام وهما يبنيان البيت من أدل الدلائل على توحيدهما، ورجائهما في الله تعالى، وخوفهما ألا يقبل عملهما، وكان بعض السلف يبكي إذا قرأ هذه الآية «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» (البقرة:١٢٧). ثم يقول يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك، وأراد الله تعالى أن يكون هذا البيت الذي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام موضعاً للمناسك، ومكاناً للطواف، وأمر سبحانه بتطهيره من كل ما يعارض التوحيد ثم قام ولدهما محمد عليه الصلاة والسلام الخليل الثاني بتطهير البيت من الأصنام والأوثان يوم فتح مكة وهو يتلو قول الله تعالى «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» (الإسراء:٨١)، ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم للناس مناسكهم ومشاعرهم ليبقى البيت منارة للتوحيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجعل يقول للناس: «خذوا عني مناسككم». ويقول: «قفوا على مشاعر أبيكم إبراهيم». قال الله تعالى «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (البقرة:١٢٥- ١٢٩). وقال تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ » (الحج:٢٦- ٣٢).

ثانيا: التلبية شعار المؤمنين الموحدين:

التلبية شعار الحجيج منذ نادى إبراهيم في الناس بالحج ممتثلا قول الله تعالى: « وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » (الحج:٢٧).

لقد كان العرب في الجاهلية يحجون ويلبون، ولكنهم يلبسون حجهم وتلبيتهم بما كانوا عليه من الشرك بالله فيقولون « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ».

وجاء النبي الخاتم ليعلن التوحيد ويهدم أركان الشرك، لبى بالتوحيد « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »، وكان بعض الناس يزيد على تلبية رسول الله فلم ينكر عليهم مادامو على التوحيد، ولكنه التزم هذه التلبية لا يزيد عليها، ففيها توحيد الله عز وجل، ونفي الشريك عنه، وإثبات الحمد والنعمة والملك لله وحده لا شريك له.

وقد صح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يلبي بتلبية رسول الله ويزيد مع هذا « لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل ». رواه مسلم. « لبيك مرغوبًا ومرهوبًا إليك، ذا النعماء والفضل الحسن » رواه ابن أبي شيبة، كما ذكره ابن حجر فتح الباري.

ويروى عن أنس « لبيك حجًا حقًا تعبدًا ورقًا ».

وتبدأ التلبية عند الإهلال، وتستمر حتى يرى المعتمر الكعبة فيقطع التلبية ويبدأ الطواف، وتستمر مع الحاج حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر.

ويستحب رفع الصوت بالتلبية، فأفضل الحج العج والثج، والعج رفع الصوت بالتلبية، والثج إراقة الدماء يوم النحر أي ذبح الهدي والأضحية.

وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: « أتاني جبريل فقال يا محمد، مُر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج ». رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وتكرار التلبية، وتكرار لفظ لبيك يفيد استمرار الإجابة أي إجابة بعد إجابة وقيل التلبية من اللزوم والإقامة، والمعنى أقمت ببابك إقامة بعد أخرى وأجبت نداءك مرة بعد أخرى، ولازمت الإقامة على طاعتك.

ولقد كان الصحابة يلبون إذا دعاهم رسول الله فيقول الواحد منهم: لبيك رسول الله وسعديك، فالتلبية لرسول الله متابعة هديه وسنته، والتلبية لله توحيد وطاعة، والمؤمن لا ينفك عن التلبية والاستجابة حتى يلقى الله عز وجل، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، وبشرته الملائكة برضوان الله فاستبشر، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

وجزاء المستجيبين لله ولرسوله الجنة قال تعالى « لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ » (الرعد:١٨).

ثالثا تعظيم البيت من تعظيم رب البيت سبحانه وتعالى:

قال تعالى: « ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ » (الحج:٣٢)، وقال تعالى: « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ » (آل عمران:٩٦).

وتعظيم البيت العتيق يكون بالتوجه إليه في الصلاة كما قال تعالى: « فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » (البقرة:١٤٤)، ويكون كذلك بالطواف به، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد أمر الله بالطواف ببيته فقال تعالى

وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ مما يدل على أن الطواف خاص بهذا البيت فلا يجوز الطواف ببيت غيره على وجه الأرض، لا بالأضرحة ولا بالأشجار ولا بالأحجار ومن هنا يعلم الحاج أن كل طواف بغير البيت العتيق فهو باطل، وليس عبادة لله عز وجل، وإنما هو عبادة لمن شرعه وأمر به من شياطين الإنس والجن.

ومن مظاهر توحيد الله في الطواف بالبيت العتيق أن الطائف حين يستلم الركن اليماني والحجر الأسود يعتقد أنه يستلمهما لأنهما من شعائر الله فهو يستلمهما طاعة لله واقتداءً برسوله، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما استلم الحجر وقبله: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.

ومن مظاهر التوحيد أن الطائف بالبيت العتيق يصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين خفيفتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وسورتي الإخلاص، فيقرأ في الأولى سورة البراءة من الشرك «قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» (الكافرون:٢)، ويقرأ في الثانية سورة الإخلاص التي هي صفة الرحمن والتي تعدل ثلث القرآن.

رابعا السعي بين جبلي الصفا والمروة والدعاء والتهليل فيه:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعد جبلي الصفا والمروة ويسعى بينهما ممتثلاً أمر الله تعالى «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا» البقرة، فيبدأ بجبل الصفا قائلا «أبدأ بما بدأ الله به» ثم يصعد الجبل ويرفع يديه مستقبلاً البيت معلناً توحيد الله قائلا «لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم يدعو بما تيسر رافعا يديه، ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات. (رواه مسلم).

خامسا دعاء يوم عرفة:

سار النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلي عرفة وكان من أصحابه الملبِّى، ومنهم المكبِّر، وهو يسمَعُ ذلك ولا يُنْكِرُ على هؤلاء ولا على هؤلاء، فوجد القُبَّة قد ضُرِبَتْ له بنمرة بأمره، فنزل بها، حتى إذا زالت الشمسُ، أمر بناقته القصواء فرُحلتْ، ثم سار حتى أتى بَطن الوادي من أرض عُرَنَةَ فخطب النَّاسَ وهو على راحلته خُطبة عظيمة قرَّرَ فيها قواعدَ الإسلام، وهَدَمَ فيها قواعدَ الشِّرْك والجاهلية، وقـرَّر فيها تحريمَ المحرَّمات التي اتفقتِ المللُ على تحريمها، وهي الدِّماءُ، والأموال، والأعراض، ووضع فيها أُمورَ الجاهلية تحت قدميه، ووضع فيها ربا الجاهلية كلَّه وأبطله، وأوصاهم بالنساء خيراً، وذكر الحقَّ الذي لهنّ والذي عليهن، وأن الواجبَ لهن الرزقُ والكسوة بالمعروف، ولم يُقدِّرْ ذلك بتقدير، وأوصى الأمَّة فيها بالاعتصام بكتاب الله، وأخبر أنهم لن يَضلُوا ما داموا معتصمين به، ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه، واستنطقهم بماذا يقولون، وبماذا يشهدون، فقالوا نشهد أنك قد بلَّغْتَ وأدَّيْتَ ونَصَحْتَ، فرفع أُصبعه إلى السماء، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات، وأمرهم أن يُبلِّغ شاهدُهم غائبَهم، ثم صلى الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، فلما فرغ من صلاته، ركب حتى أتى الموقف، فوقف، واستقبل القبْلة، فأخذَ في الدُّعاء والتضرُّع والابتهال إلى غروب الشمس، وأمر النَّاس أن يرفعُوا عن بطن عُرَنَةَ، وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك، بل قال: «وقفْتُ هاهنا وعَرفةُ كلُّها مَوْقفٌ».

وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره كاستطعام المسكين، وأخبرهم أنَّ خَيْرَ الدُّعاء دُعاءُ يَوْم عَرفَةَ.

وذكر الإمام أحمد من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه قال كان أكثر دُعاء النَّبيِّ صلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمَ عرفة «لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ، بيَدِه الخَيْرُ وهُوَ على كُلِّ شيء قدير».

وذكر البيهقي من حديث علىّ رضي الله عنه، أنه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم قال: «أَكْثَرُ دُعائي ودُعاء الأَنبيَاء منْ قَبْلي بعَرَفَةَ لا إله إلاَّ الله وَحْده لا شَريكَ له، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلى كُلِّ شيء قَدير». زاد المعاد.

سادسا: الحج يذكر بمواطن ومشاهد الآخرة:

ويتجلى هذا حينما يترك الحاج وطنه وبلده

وأهله وولده قادماً على الله عز وجل، فيتجرد من ثيابه ويلبس إزاراً ورداءً أبيضين نظيفين كأنهما أكفان الموتى، ويقف مع الحجيج على صعيد عرفات فيتذكر الموقف العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

قال بعض العلماء: من أعظم معاني التوحيد في الحج أن الحج يذكر الإنسان بالآخرة، فإن الإنسان من أول لحظة في الحج إذا خرج من بيته يتوجه إلى الميقات، فيأتيه أمر الله عز وجل في الميقات أن يتجرد من ثيابه، وأن ينزع عنه المخيط فإذا تجرد من ثيابه تذكر إذا جرده أهله من ثيابه حين يموت ليغسلوه، هو اليوم يجرد نفسه؛ ولكنه غداً يُجَرَّدُ ثم إذا لبس ثياب الإحرام فإنه يتذكر لبس الأكفان، وعندما يلبس ثياب الإحرام فإنه يمنع من الطيب، ومن قص الشعر، ومن الترفه، فيتذكر أنه إذا صار إلى قبره يحال بينه وبين أي شيء من ملاذ الدنيا ومتعها وما فيها من الشهوات والملهيات، كذلك هو في حجه يُمنع من هذه الأمور لكي يتذكر الآخرة.

ثم إذا صار إلى صعيد عرفات تذكر وقوف الناس بين يدي الله عز وجل حفاة عراة غرلاً، فيتذكر مثل هذه المواقف؛ ولذلك يقولون الحج يعين على تذكر الآخرة.

قال أبو العتاهية:

لعَمْرُك، ما الدّنيا بدار بقاء:
كفاكَ بدار الموْت دار فنَاء
فلا تَعشقِ الدّنيا، أخيَ، فإنّما
يُرى عاشقُ الدُّنيا بجهْد بَلاءِ
حلاوَتُها ممزوجَة بمرارةٍ
وراحتُها ممزوجةٌ بعَناء
فلا تمش يوْماً في ثياب مخيلة
فإنّكَ من طينٍ خلقتَ وماء
لَقَلّ امرُؤٌ تلقاهُ لله شاكراً
وقَلّ امرؤٌ يرضَى لهُ بقضَاءِ
وللّهِ نَعْماءٌ علَينا عظيمَةٌ
وللّهِ إحسانٌ وفضْلُ عطَاء
أزُورُ قبور المترفين فلا أرَى
بَهاءً، وكانوا، قبلُ، أهل بهاء

سابعا: ذكر الله في الحج:

فالحاج يأتي ربه ذاكرًا ملبيًا مستجيبًا، قد تجرد من دنياه، وترك بلده وأرضه وأهله وثياب زينته، وأقبل على الله أشعث أغبر مُحرمًا، يلبي ويكبر، ويدعو ويستغفر، ويقف عند المشاعر وقد تملكته مشاعر الحب والرغبة والرهبة والخوف والرجاء، ولا يفتر قلبه ولا لسانه عن ذكر ربه وخالقه ومولاه.

وقد أمر الله عز وجل الحاج بذكره، وكرر الأمر في مواضع من كتابه العزيز، حتى لا تكاد تجد آية في كتاب الله عز وجل تخاطب الحاج إلا وتجد فيها الأمر بذكر الله عز وجل.

قال تعالى: « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » (البقرة:١٩٨- ٢٠٣).

وقد ختمت هذه الآيات بذكر الله تعالى تنويهًا بختام الحج بالذكر، فكما يبدأ الحج بالذكر ينتهي بالذكر.

فانظر رحمك الله إلى هذه العبادة الجليلة وما فيها من المشاعر التي تجيش لها المشاعر فتنبض القلوب المؤمنة بذكر الله عز وجل وإعلان الاستجابة لندائه سبحانه والتوجه إليه وحده لا شريك له.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن وأن يملأ قلوبنا بطاعته ومحبته وتعظيمه وخشيته، وأن يرزقنا حج بيته، وأن يقبل عباده الذاكرين الملبين، وأن يردهم إلى أهليهم سالمين غانمين بحج مبرور وذنب مغفور وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إيجابيات وسلبيات الشبَكة العنكبوتية

إعداد **د. عبد القادر فاروق محمد**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

وفيه مطلبان: الشبكة العنكبوتية تُقَدِّم الكثير من الخِدمات منها: توفير المعلومات الإلكترونية، وتيسير المُراسَلة (البريد الإلكتروني)، وتوفير منتديات الحوار والمؤتمرات الفيديوية، وتيسير التجارة الإلكترونية والتسوق عن بُعد، والعمليات المصرفية، والإعلانات، وتوفير خدمة الاتصال من بُعد، والتعليم عن بُعد، والعمل عن بُعد وتوفير الموارد البشرية للوظائف المختلفة. (الجرائم الناشئة عن الاستخدام غير المشروع لشبكة الإنترنت دراسة مقارنة، تأليف: د/محمد عبيد الكعبي ص٢٦، الناشر: دار النهضة العربية، ط٢، ٢٠٠٩م).

وتشتمل على إيجابيات وسلبيات.

المطلب الأول: إيجابيات الشبكة العنكبوتية:

من هذه الإيجابيات:

١- الإيجابيات الدعوية والإفتائية.

يجب أنْ يكون المُسلم حريصًا على الاستفادة من الإنترنت، وشبكات التواصل في الدعوة إلى الله تعالى، وهو مجال رحب، ويُعد أشرف ما تُستخدم له هذه الشَبكة الدولية، وتلك وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى مبينًا قَدْر وشَرف هذه الوظيفة: «وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ». (فصلت: ٣٣).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (أخرجه مسلم: ٢٦٧٤).

طُرق استخدام الشبكة العالمية في الدعوة والإرشاد والإفتاء ما يلي:

أ-الدعوة إلى حفظ كتاب الله تعالى، ومن مجالات الدعوة في مجال حفظ القرآن الكريم، بث القرآن الكريم وبث المحاضرات والندوات من خلال استخدام تقنية بث الصوت وتقنية الفيديو. (الإنترنت في خدمة الإسلام، تأليف عبد المنعم حسن النهدي، (ص١٢)، الناشر: دار المحمدي، جدة، السعودية، ط ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.).

ب-ومن مجالات الدعوة، توضيح المبادئ الاعتقادية والأهداف الإسلامية وأحكام الحلال والحرام وجملة الفضائل والأخلاق والقيم وبيان كيفية أداء العبادات والمعاملات الشرعية بلغات مختلفة، وبعبارات سهلة، وبكيفية منهجية ميسرة، يُتجنب فيها الاختلاف، وكثرة التفريع والتفصيل، والرد على الشبهات.

ج-توجيه رسائل عبْر البريد الإلكتروني إلى المشتركين في هذه الخدمة بغية دعوتهم إلى الإسلام وتوضيح بعض الحقائق الضرورية لهم، ونَفي ما عَلق بأهدافهم من شبهات ومزاعم، والتباسات. (الإنترنت في خدمة الإسلام (ص ٥)).

د- ومن مجالات الدعوة، إنشاء مواقع للفتوى المباشرة، يتولاها شيوخ وعلماء متخصصون ومجتهدون، تتوافر فيهم شروط المفتي وهي:

"ومن شَرْط المفتي أن يكون عالمًا بالفقه أصلًا وفرعًا، خلافًا ومذهبًا، وأن يكون كامل الأدلة في الاجتهاد عارفًا بما يحتاج إليه في استنباط الأحكام وتفسير الآيات الواردة في الأحكام والأخبار الواردة فيها" (الورقات للجويني

ص٢٩).

يجيبون فيها عن الفتاوى ويحاورون المستفتين، ويُرشدونهم ويوجهونهم إلى ما يُعينهم على حَل مشاكلهم في بيئاتهم وأوطانهم، وأخْذ ما يُعينهم على القيام بواجبهم الإسلامي، تعبدًا وتعاملًا وتخلُقًا، صلاحًا وإصلاحًا، تحملًا وأداءً، كما أنَّ هذه المواقع تتسم بالسرعة في أداء الفتوى وتناقلها بالتحادث المباشر، الذي يدور بين المستفتي والمفتي، وهما يتواجدان في مكانين متباعدين بعد المشرقين.

غير أنَّ استخدام البريد الإلكتروني لا يُغني عن الدعوة المباشرة، ولكنه يصلح في مثل حالات التباعد المكاني.

٢- الإيجابيات العلمية والبحثية:

شبكة الإنترنت قامت بتطوير البحث العلمي، والتحصيل المعرفي، وإثراء الثقافة العامة؛ ولذلك عُدت هذه الشبَكة أرقى وسيلة في ثورة الاتصال وعملية تبادل المعلومات، والمعطيات والأبحاث والملفات، واتضح ذلك في الآتي:

أ- الفهرسة والتصنيف وترتيب الملفات وأبجديات الكتب والمؤلفات وتخزينها في عرض السجلات.

ب- اختيار الموضوعات والتزود بالمعلومات والاكتشافات الجديدة وتبادل الآراء والأبحاث والوثائق مع المختصين والمهتمين والتشاور معهم في صياغة البحوث والدراسات وإقرار النتائج والحلول والتوصيات. (الإنترنت وآفاق البحث العلمي العربي، د. مفيد الزيدي، مجلة الأمن والحياة، (ص٥٤)، العدد (١٩٨)، السنة الثامنة عشرة، ذو القعدة ١٤١٩هـ، مارس ١٩٩٩م).

ج-تجنب التكرار الذي قد يقع فيه بعض الباحثين بسبب عدم التعرف على الإنتاج العلمي والبحثي الذي يقوم به الآخرون.

د- التعرف على المخطوطات الموجودة والمدفونة في مستودعات وكهوف مكتبات العالم ثم تحقيقها ودراستها وإفادة الناس بها.

هـ- مجال لتعلم اللغات المختلفة: تعلم الآلاف من جنسيات مختلفة ومن خلال الانفتاح على الآخرين وعبر شبكة الإنترنت بمواقعها المتعددة والمتخصصة في تعليم اللغات ودون أنْ يتحركوا من بيوتهم، تعلّموا اللغات المختلفة، وهناك مواقع كثيرة ومتخصصة في ذلك. (مجلة لغة العصر، من إصدار الأهرام للكمبيوتر والاتصالات، العدد الأول، يناير ٢٠٠١م ص٤٨).

٣- الإيجابيات الطبية:

ظهرت المشورة الطبية على الإنترنت، بوجود المواقع المتاحة على شبكة الإنترنت؛ للحصول على معلومات حول مختلف الأمراض. ويُمكن استشارة فريق من الأطباء على هذه المواقع، والحصول على مشورة حول أي مشكلة طبية، بالإضافة إلى ذلك الكثير من المواد متاحة أيضًا على الشبَكة العنكبوتية للبحث في المجال الطبي.

٤- من الإيجابيات ما يُعرف بالحكومة الإلكترونية:

وهو مصطلح، يُقصد به قدرة القطاعات الحكومية المختلفة على توفير الخدمات الحكومية التقليدية للمواطنين، وإنجاز المعاملات عَبر الشبَكة الدولية (الإنترنت) للحصول على المعلومات الحكومية، وتوصيل الخدمات إلى المواطنين، وقطاع الأعمال والموظفين، والكيانات الحكومية، ولديها الإمكانات اللازمة للمساعدة في بناء علاقة أفضل بين الحكومة والجمهور من خلال جعْل التفاعل مع المواطنين، أكثر سلاسة وسهولة وأكثر كفاءة. (الحكومة الإلكترونية بين التخطيط والتنفيذ، تأليف: د. فهد بن ناصر العبود، ص ٢٧).

وللحديث بقية إن شاء الله.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٩ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة ـ عابدين ت: ٢٩٣٦٥١٧ - ٢٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

١٠٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٢٥٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513